" من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان " أبي محجن الثقفي "

" رضي الله عنه "

د / طلعت عبد الله بسيوني أبو حلوة

مدرس في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

جامعة الأزهر/ فرع دسوق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــــدمـــة

الحمد لله الذي منح لنا النعماء، وجلّتْ أياديه على العلماء، بما وهب لهم من النور والضياء، وفضلنا باللسان العربي، وامتن علينا بالنبيّ الأميّ، الذي آتاه الله جوامع الكلم، وفضله على جميع الأمم، وجعل معجزته قائمة، وآيته دائمة، وبعثه عند تناهي الفصاحة، وتكامل البلاغة ؛ ليظهره على الدين كله بالحجة البالغة، وصلى الله وسلم على أكرم المرسلين إلى أكرم الأمم، وعلى آله وصحبه أهل الفضل والكرم .

أما بعد

فهذا بحث بعنوان (**من الأسرار البلاغية للتعبير بالفعل في ديوان أبي محجن الثقفي**) " رضي الله عنه " قد قضيت معه زمنًا طيبًا مفيدًا بالبحث والدرس، ومن خلال هذا البحث فقد أوضحت طرق استخدام أبي محجن للفعل بأنواعه الثلاثة، في سياقات مختلفة، ومقامات متعددة، وأحوال متنوعة، ونِسَب متغايرة، وبَيَّنْت أسرار بلاغته، وكشفت النقاب عن ملامح براعته .

هذا، وقد دفني إلى اختيار هذا الموضوع، وساقني إليه عدة دوافع وأسباب من أهمها ما يلي :

١- ما انطوى عليه التعبير بالفعل بأنواعه الثلاثة، وأساليبه المتعددة، في سياقاته المختلفة، ومقاماته المتنوعة، من الكثير من الأسرار والفوائد، واحتوي عليه من العديد من اللطائف والعوائد، تحرك النفس، وتلفت النظر، وتجذب الانتباه، وتقنع العقل، تمتع العاطفة .

٢- ما تاقت إليه نفسي من دراسة بلاغية في الشعر العربي ولا سِيَّما المطبوع منه ؛ لما فيه من الحكمة البالغة، وبديع القول، وسحر البيان، فأخذت أبحث وأقلب نظري في دواوين الشعر الجيد المطبوع، وغير المتكلف ولا المصنوع، وما أكثر هذا النوع في تراثنا الأدبي الشامخ، فوقعت عيني على دُرَّة من دُرَره، ألا وهي ديوان الصحابي الجليل، والشاعر المخضرم، والفارس البطل أبي محجن الثقفي - رضي الله عنه - فارس القادسية، فوجدت شعر أبي محجن جيدًا مطبوعًا، عذبًا رقيقًا، قوي العبارة، واضح المعاني، محكم الرصف، دقيق الوصف، بعيدًا عن البديع المتكلف، ووجدت ألفاظه موحية بما يَؤُمّ من معانٍ، ومتساوقة ومتطابقة مع ما يقصده من أغراض، فوقفت أمام كل هذا وغيره، وأخذت أسأل نفسي وأقول : لمَ يحظَ هذا الديوان بدراسة تكشف هذه الأسرار

واللطائف، وتميط اللثام عن تلك الدُّرَر والجواهر التي اشتمل عليها هذا النوع من الشعر ؟

٣- وكان من هذه البواعث التي حَدَتْ بي إلى هذه الدراسة أنني لم أجد من تناول هذا بالدراسة البلاغية، وإنما وجدت حوله بعض الدراسات التي تناولته من حيث الناحية الأدبية وتحقيق الديوان، فوجدت دراسة للدكتور/ محمود فاخوري، بعنوان (أبو محجن حياته وشعره دراسة وتحقيق) (١)، وهي دراسة تعني بالتعريف بحياة أبي محجن، وتحقيق الديوان، وبيان مصادر شعر أبي محجن، ومكانته بين الشعراء .

ووجدت أيضًا بحثًا للدكتور/ رفعت التهامي، بعنوان (شاعر الفارسية الفارس التائب أبو محجن الثقفي) (٢)، وتناول هذا البحث ديوان أبي محجن من حيث موضوعاته وأغراضه الأدبية واتجاهاته، وكذلك من حيث البناء الفني شعر في أبي محجن .

وعثرت على بحث بعنوان (أبو محجن الثقفي حياته وشعره) (٣)، للدكتور/ سامر خالد منى، وتناول هذا البحث شيئًا من حياة أبي محجن والموضوعات والأغراض الأدبية التي تعرض لها في ديوانه .

وكذلك وقفت على دراسة بعنوان (ديوان أبي محجن الثقفي ملاحظات واستدراكات) (٤)، وتعرضت هذه الدراسة لشيء من حياة أبي محجن، واهتمت بتحقيق الديوان وبيان مصادره .

فكان من أكبر صعوبات هذا البحث عدم وجود دراسة بلاغية أستفيد منها، وأسترشد بها، وأستضيء بنورها . ولكني عقدت العزم وأحسب أني أخلصت النية، واجتهدت قدر الوسع لعلي أضع شمعة حول ديوان أبي محجن يستضيء بها من يأتي بعدي ؛ لكي يتم النور، ويكمل البناء .

هذا، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

فأما المقدمة فقد أوضحت فيها منهج البحث، وذكرت فيها بعض الدوافع التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، وبعض الصعوبات التي واجهتني في بحثه .

---

(١) نُشِرَت هذه الدراسة ضمن منشورات كلية الآداب / جامعة حلب / مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية / الطبعة الثانية / ١٩٨٨ م .

(٢) طُبِعَ هذا البحث بمطبعة التركي / طنطا / الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

(٣) وجدت هذا البحث على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) .

(٤) وجدت هذه الدراسة على الشبكة العنكبوتية (الانترنت) .

وأما التمهيد فقد جاء مشتملًا على أمرين : **أما الأمر الأول** فهو التعريف بحياة الشاعر من حيث : اسمه،وكنيته، واسم أمه، وإسلامه، ونفيه، وشجاعته، وشعره، ووفاته .

وأما الأمر الثاني فهو عبارة عن نبذة مختصرة عَرَّفْت فيها الفعل، وأنواعه، ودلالة كل نوع .

وأما المبحث الأول فقد تحدثت فيه عن الفعل الماضي في ديوان أبي محجن وذلك من حيث وروده في سياق النفي، والتأكيد، والشرط، ومن حيث مجيئه بمعنى الأمر .

وأما المبحث الثاني فقد تعرضت فيه للفعل المضارع في ديوان أبي محجن، وذلك من حيث استحضار الصورة، والتجدد والحدوث، ومن حيث وروده في سياق النفي، ثم في سياق النهي، ثم اقترانه بـ " قد " .

وأما المبحث الثالث فقد تحدثت فيه عن فعل الأمر والمعاني البلاغية التي أتى لها، وهي الالتماس، والاستيصاء، والتمني، والتحقير والإهانة، والنصح والإرشاد، والفخر والمباهاة .

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها هذا البحث .

هذا .. ولا أدعي لهذا العمل الكمال، فالكمال لله وحده، والعصمة لا تكون إلا لنبي، وما كان في هذا العمل المتواضع من هنات وعثرات فمن نفسي والشيطان، والله منه براء، وما كان فيه من صواب توفيق فمن الله وحده الكريم الوهّاب المنان، وحسبي أنني اجتهدت، وحسبي من المجتهد أن يكون له أجران إذا أصاب، وأجر إذا أخطأ، وحسبي أيضًا حسن النيّة، وإخلاص الطويّة، وصدق العزيمة، وكفى بذلك شافعًا، ولله در شاعر النيل حافظ إبراهيم :

لا تَلُمْ كَفِّي إذا السَّيْفُ نَبا .. صَحَّ مِنِّي العَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى (١)

(١) ديوانه ٢ / ٧ / تحقيق: أحمد أمين ومن معه / الهيئة العامة لقصور الثقافة / الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م .

تمهيـــد

أولاً : التعريف بالشاعر:

أ - اسمه : لقد اختلف العلماء فـي اسم هذا الشاعر، فقيل: هو عبد الله بن حبيب (١) بن عمرو بن عُمَيْر بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرة بن عوف بن ثقيف الثقفي . وقيل : عمرو بن عمير . وقيل : مالك بن حُبَيِّب . وقيل : عبد الله بن حُبَيْب . وقيل : حبيب بن عمرو . وقيل : اسمه كنيته (٢)، ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فالثابت أن نسبه ينتهي إلى ثقيف .

ب - كنيته : أبو محجن، بكسر الميم المهملة وفتح الجيم . وقيل: أبو محجن اسمه، وكنيته أبو عبيد (٣) .

ج - اسم أمه : كنود بنت عبد الله بن عبد شمس (٤) .

د - إسلامه : يعد أبو محجن من الشعراء الكرماء المطبوعين المُقِلِّين المغمورين، ويعد كذلك من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، اشترك في الجاهلية معها في محاربة المسلمين، وكان أحد الذين دافعوا عن الطائف عندما حاصرها الرسول – ﷺ– سنة ٨ هـ، وقد أسلم حين أسلمت ثقيف سنة تسع من هجرة الهادي البشير - ﷺ- في شهر رمضان عندما أتى وفد ثقيف بعد استسلامها إلى المدينة، وله صحبة، وسمع من النبي- ﷺ- وروى عنه، فقد حدث عنه

(١) ضُبِطَ " حَبِيْب " مكبرًا و " حُبَيْب " مصغرًا . خزانة الأدب ٨ / ٤١٥ / للبغدادي / تحقيق: د / محمد نبيل طريفي، د / إميل بديع يعقوب / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .

(٢) أسد الغابة ٥ / ٨٩ / لابن الأثير / تحقيق: خليل مأمون شيحا / دار المعرفة / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، الاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ / لابن عبد البر / تحقيق: علي محمد البجاوي / دار الجيل / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، الإصابة / ٧ / ٢٩٨ / لابن حجر العسقلاني / تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، خزانة الأدب ٨ / ٤٠٨ .

(٣) الإصابة ٧ / ٢٩٨، خزانة الأدب ٨ / ٤٠٨ .

(٤) الإصابة ٧ / ٢٩٨ .

أبو سعيد البقّال، قال : سمعت رسول الله - ﷺ- يقول :" أَخافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ثَلاثًا : حَيْف الأَئِمَّةِ، وإِيْمانًا بالنُّجُوم، وتَكْذِيبًا بالقَدَرِ[1]"[2].

هـ - نفيه : كان أبو محجن من المعاقرين للخمر، المحدودين في شربها كثيرًا، فقد ارتبط اسمه بها، حيث إنه قد رُوِيَ أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - قد أقام عليه الحد مرارًا وهو لا ينتهي ؛ ولذا فقد نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حَضَوْضَى [3] "، كانت العرب تنفي إليها خلعاءها، وبعث معه رجلًا فهرب منه، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو محارب للفرس، وكان قد هَمَّ بقتل الرجل الذي بعثه معه عمر، فكتب عمر إلى سعد ليحبسه فحبسه [4] .

وذكر كل من الأصفهاني وابن حجر سببًا آخر في نفي عمر إياه، وهو أن أبا محجن هَوِيَ امرأة من الأنصار يقال لها : (شَمُوس)، فحاول النظر إليها بكل حيلة فلم يستطع، فآجر نفسه من عامل يعمل في بستان بجوار منزها، فأشرف عليها من كُوَّة فرآها، فاستعدى زوجُها عليه عمر فنفاه إلى (حَضَوْضَى)، وكتب إلى سعد يأمره بسجنه فسجنه[5] .

---

(١) كنز العمال ٦ / ١٥ / رقم: ١٤٦٣٢ / للهندي / تحقيق: بكري حياتي، صفوة السقا / مؤسسة الرسالة / الطبعة الثالثة / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، جامع المسانيد ١٤ / ٤٣٣٠ / رقم: ١٢١٣٦ / لابن كثير / تحقيق: د / عبد المعطي قلعجي / دار الفكر / بيروت / لبنان، دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .

(٢) أسد الغابة ٥ / ٨٩، الإصابة ٧ / ٢٩٩ .

(٣) حَضَوْضَى: بفتح أوله والضادين، وسكون الواو، مقصور، مثال: قَرَوْرَى: جبل في الغرب كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها، وقال الحازمي: حضوض، بغير ألف، جزيرة في البحر . معجم البلدان ٢ / ٢٧٢ / لياقوت الحموي / دار صادر / بيروت / بدون تاريخ، القاموس المحيط / للفيروزآبادي / دار الفكر / بيروت / لبنان / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م / مادة: حضض .

(٤) طبقات فحول الشعراء ١ / ٢٦٨، ٢٦٩ / لابن سلام / تحقيق: محمود محمد شاكر / دار المدني / جدة / بدون تاريخ، الأغاني ١٩ / ٣، ٤ / للأصفهاني / تحقيق: عبدا علي مهنا / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الرابعة / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م، أسد الغابة ٥ / ٩٠، الاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ .

(٥) الأغاني ١٩ / ٥ ، الإصابة ٧ / ٣٠٠ .

و - شجاعته : كان أبو محجن من الشعراء الفرسان الشجعان الأبطال المعدودين في أولي البأس والنجدة في الجاهلية والإسلام، وكان من أبز مواقف شجاعته موقفه يوم القادسية حيث إنه لحق بسعد بن أبي وقاص وهو يحارب الفرس إلا أن سعدًا حبسه تلبية لأمر عمر بن الخطاب، فلما بلغه ما يفعل المشركون بالمسلمين طلب من زوجة سعد أن تفك قيده وتعيره فرس سعد ؛ ليلتحق بصفوف جيش المسلمين، وعاهدها أنه إن سلم من القتل عاد إلى سجنه ووضع رجله في القيد، وإن استشهد فلا تبعة عليه، فخلت سبيله وأعطته الفرس، فذهب وتَلَثَّم ثم أخذ يقاتل الأعداء، فقاتل قتالًا عظيمًا، وأبلى بلاء حسنًا، وكان يكبر ويقصف الأعداء قصفًا منكرًا، فكان لا يقف بين يديه أحد، فقال بعض الناس إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر، وقال بعضهم : لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا : ملك يُثَبِّتُنا، وسعد ينظر ويقول : الضَبْر [1] ضَبْر البَلْقاء، والطَّفْر [2] طَفْر أبي محجن، ولولا أني تركت أبا محجن في القيود لظننت أنها بعض شمائل أبي محجن، من هذا المُلَثَّم، ولِمَ تَلَثَّمَ ؟ . فلما تراجع الناس عن القتال، وهُزِمَ المشركون عاد إلى سجنه وأدخل رجليه في القيد، فأعلمت امرأة سعد سعدًا خبر أبي محجن فأطلقه، وقال : " اذهب لا أحدك أبدًا . فتاب أبو محجن وقال : وأنا - والله - لا أشربها بعد اليوم أبدًا " [3] .

ولا يفهم من قول سعد لأبي محجن - رضي الله عنهما - : " اذهب لا أحدك أبدًا " أن سعدًا أبطل عنه الحد، ولكن لعل سعدًا أراد عدم جلده بشرط أضمره في نفسه، وهو إن ثبت على أبي محجن أنه شربها،

(١) الضَبْر: يقال: ضَبَرَ الفرس يَضْبِر ضَبْرًا: إذا وثب فوقع مجموعة يداه . لسان العرب / مادة: ضبر /لابن منظور / دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية /١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

(٢) الطَّفْر: وَثْبة في ارتفاع، كما يَطْفِر الإنسان حائطًا: أي يَثِبُه، والطَفْرة: الوَثْبة، يقال: طَفَر يَطْفِر طَفْرًا وطُفُرًا: وَثَب في ارتفاع، وطَفَر الحائط: وَثَبَه إلى ما وراءه . السابق / مادة: طفر .

(٣) أسد الغابة ٥ / ٩٠، الاستيعاب ٤ / ١٧٤٨، الإصابة ٧ / ٢٩٩، خزانة الأدب ٨ / ٤٠٩ - ٤١١ .

فوفقه الله - سبحانه وتعالى - أن تاب توبة نصوحًا، فلم يعد إليها !!! لله دره، ما كان أنبله [١] .

ز - **شعره :** شعر أبـي محجن حسن ومطبوع، محـكم الرصف، دقيق الوصف، فصيح في ألفاظه، بليغ في معانيه، يقول أبو هلال العسكري عن أبي محجن : " وكان شاعرًا شريفًا قد فُضِّلت أبياته (القافية) على كل شعر قيل في معناها " [٢] . وقال ابن عبد البر عن أبي محجن : " وكان شاعرًا مطبوعًا " [٣] .

وجعله ابن سلام من فحول شعراء الطائف، وقال : " أبو محجن رجل شاعر شريف " [٤] .

ومعظم شعر أبي محجن قد جاء منظومًا على بحر الطويل ؛ وذلك لأنه البحر " الذي كان يؤثره القدماء على غيره، ويتخذونه ميزانًا لأشعارهم، ولا سيما في الأغراض الجدية الجلية الشأن، وهو لكثرة مقاطعه يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة " [٥] .

ويعد أبو محجن من الشعراء المقلين، لكن على الرغم من قلة شعره فإننا نلحظ في شعره قوة وعذوبة ورقة اللفظ، وسبك وسلامة وطلاوة العبارة، والأثر الإسلامي، الأمر الذي يكشف لنا مقدرته الفنية البديعة في صياغة الشعر، وبراعة منقطعة النظير في التعبير والإفصاح عن الحالة النفسية التي كان عليها، ونرى في شعره المقطعات السريعة التي تناسب حياته التي قضاها بين الفروسية والخمر والتوبة، ولعل أشهر أغراضه الشعرية وصف الخمر والفروسية والفخر والحكمة والغزل .

ح - **وفاته :** وتوفي أبو محجن - رضي الله عنه - سنة ٣٠هـ - ٦٥٠م، بأذربيجان، وقيل : بجرجان، وقد أخبر مَنْ مرّ على قبره أنه قد

(١) الإصابة ٧ / ٣٠٢، خزانة الأدب ٨ / ٤١٤ .
(٢) شرح ديوان أبي محجن / ٢٤ أبي هلال العسكري / تحقيق: يوسف عبد الوهاب / مكتبة القرآن / القاهرة / بدون تاريخ .
(٣) الاستيعاب ٤ / ١٧٤٦ .
(٤) طبقات فحول الشعراء / ٢٦٨ .
(٥) موسيقى الشعر ١٨٧ / د / إبراهيم أنيس / دار الفكر / القاهرة / بدون تاريخ .

رأى قبره وقد نبت على قبره ثلاثة أصول كَرْم قد طالت وأثمرت وهي مُعَرِّشة على قبره، وقد كُتِبَ على القبر : " هذا قبر أبي محجن الثقفي "، فوقف متعجبًا مما اتفق له حتى صار كأمنية قد بُلِّغها حيث يقول :

إذا مُتُّ فادْفِنِّي إلى أَصْل كَرْمة تُرَوِّي عِظامي بعد مَوْتي عُروقُها (١)

رحم الله أبا محجن، ورضي عنه، وأسكنه فسيح جناته، اللهم آمين .

ثانيًا : الفعل وأنواع عند علماء اللغة :

الفعل هو ما يدل على حدث وزمن يقترن به (٢) .

وينقسم الفعل عند علماء اللغة إلى ثلاثة أقسام :

١- فعل ما ضٍ . ٢- فعل مضارع .

٣ - فعل أمرٍ .

إذ لما كانت الأفعال مساوقة للزمان، والزمان من مقومات الأفعال، توجد عند وجوده، وتنعدم عند عدمه، ولما كان الزمان ثلاثة : ماض وحاضر ومستقبل، انقسمت الأفعال باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام : ماضٍ، ومضارع، وأمر .

يقول سيبويه : " وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع . فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وسَمِعَ ومَكُثَ وحُمِدَ، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرًا : اذْهَبْ واقْتُلْ واضْرِبْ، ومخبرًا :

يَذْهَبُ ويَضْرِبُ ويُقْتَلُ ويُضْرَبُ. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرتَ " (٣) .

---

(١) الأغاني ١٩ / ١٧، الاستيعاب ٤ / ١٧٥٠، خزانة الأدب ٨ / ٤١٣، الأعلام ٥ / ٧٦ / للزركلي / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية عشرة / ١٩٩٧ . والبيت موجود في ديوان أبي محجن / ٥٢ (الطويل) / بشرح أبي هلال العسكري / تحقيق: يوسف عبد الوهاب، مكتبة القرآن / القاهرة / بدون تاريخ .

(٢) نتائج الفكر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الطلائع / ٢٠٠٩م / ٦٦ / للسهيلي / تحقيق: د / محمد أبراهيم البنا / دار الرياض / الطبعة الثانية / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، أوضح المسالك ١/ ٥١ / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الطلائع / ٢٠٠٩ م .

(٣) الكتاب ١ / ٤٠ / لسيبويه / تحقيق: د / إميل بديع يعقوب / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

ويقول ابن هشام : " والفعل جنس تحته ثلاثة أنواع : أحدهما المضارع ... الثاني الماضي ... الثالث الأمر " [1] .

وذلك ؛ لأن الفعل يدل على حدث مقترن بزمن، وهذا الزمن قد يكون ماضيًا، وقد يكون حاضرًا، وقد يكون مستقبلًا، فجاء الفعل الماضي للزمن الماضي، وجاء فعل الأمر لزمن الاستقبال، وجاء الفعل المضارع لما يحتمل الحال والاستقبال . ولكن قد تتعاور صيغ التعبير، فقد يعبر عن الاستقبال بالفعل الماضي، وقد يعبر عن الماضي بالفعل المضارع، وقد يرد فعل الأمر لمن هو ملتبس بالفعل، ولا يكون ذلك إلا لاعتبارات وأغراض يقتضيها المقام، ويتطلبها السياق، ويعرف ويفهم ذلك بمعونة القرائن والاقتران ببعض الأدوات .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - :" الأفعال ثلاثة : ماض، ومضارع، وأمر، فالأمر لا يكون إلا للاستقبال ؛ ولذلك لا يقترن به ما يجعله لغيره، وأما وروده لمن هو ملتبس بالفعل فلا يكون المطلوب منه أمرًا متجددًا، وهو إما الاستدامة، وإما تكميل المأمور به، ...، وأما الماضي فيصرف إلى الاستقبال بعد أدوات الشرط وفي الوعد والوعيد والإنشاء ونحوه لا في الخبر، ...، وينصرف أيضًا إلى الاستقبال بعطف على ما علم استقباله، ...، وينصرف إلى الاستقبال أيضًا بالنفي بـ (لا) و (إن) بعد القسم، ...، وإذا وقع الماضي بعد حرف التحضيض صلح للماضي والمستقبل، ...، وإذا اقترن بـ (لولا) و (هلّا) وتجردا للتوبيخ لم يتغير الماضي عن وضعه، وإن تجردا للتحضيض تغير إلى الاستقبال، وإن كان توبيخًا مشربًا معنى التحضيض صلح للأمرين، ...، وإن وقع بعد (كلما) جاز أن يراد به المضي وأن يراد به الاستقبال، ...، وإذا سُبِقَ المضارع بأداة نفي فإنها تنفي الفعل المبتدئ من الحال مستمر النفي في الاستقبال، فلا تنفيه في الحال نفيًا منقطعًا عن التعرض للمستقبل، ولا تنفيه في المستقبل مع جواز التلبس به في الحال، ويتخلص

(١) أوضح المسالك ١ / ٢٨، ٢٩، وينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى / ٤٦ / لابن هشام / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م .

للاستقبال بحرف التنفيس، أو مصاحبة ناصب، أو أداة ترجٍ، أو إشفاق، أو مجازاة، أو نوني التوكيد، أو (لو) المصدرية " [1] .

ويقول الشيخ / أحمد الحملاوي : " ينقسم الفعل إلى ماضٍ، ومضارع، وأمر . فالماضي : ما دلّ على حدوث شيء قبل زمن التكلم، نحو قام، ...، والمضارع : ما دلّ على حدوث شيء في زمن التكلم أو بعده، نحو يقرأ، والأمر : ما يطلب به حصول شيء بعد زمن التكلم، نحو اجْتَهِدْ " [2]

(١) بدائع الفوائد ٤ / ٢١٣ ـ ٢٢٠ / بتصرف / لابن قيم الجوزية / تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، د / أحمد عوض أبو الشباب / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م .

(٢) شذا العرف في فن الصرف / ٢١، ٢٢ / تحقيق: د / أحمد أحمد شتيوي / دار الغد الجديد / المنصورة / الطبعة الأولى / ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م .

المبحث الأول :الفعل الماضي في ديوان أبي محجن :

لقد ورد التعبير بالفعل بأنواعه الثلاثة : الماضي، والمضارع، والأمر في ديوان أبي محجن الثقفي مائتين وخمسًا وثلاثين مرة، (١) .
ويعد الفعل الماضي أكثر الأفعال ورودًا في هذا الديوان، فقد ورد مائة وتسعًا وعشرين مرة، أي بنسبة ٥٤,٨٩ % ؛ ولعل هذه الكثرة جاءت لما يحمله الفعل الماضي من الدلالة على تحقق وقوع الحدث، وتأكيد حدوثه، وإظهار التفاؤل والحرص على وقوع الأمر، وذلك حينما يعبر به عن الأمر، وكذلك لقصد التنبيه على تحقق الوقوع، أو قرب الوقوع، أو التفاؤل، وذلك حينما يعبر به عن المضارع، وهذا ما يتضح لنا خلال هذه الدراسة إن شاء الله .

ومن ينظر إلى الفعل الماضي في ديوان أبي محجن يجد أنه قد استخدمه في مقامات وأغراض مختلفة، وسياقات متعددة، وفي ثنايا أساليب متنوعة، كل ذلك وغيره لأغراض بلاغية، وأسرار بيانية اقتضاها الحال، ودعا إليها السياق، ونادى بها المقام .

١ـ الفعل الماضي في سياق النفي :

من ينظر إلى الفعل الماضي المنفي في ديوان أبي محجن الثقفي يجد أنه قد ورد منفيًا بأداة النفي : ما " في ثلاثة مواضع، وذلك في قوله يوم الجسر (٢) وهو يرثي أبا عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير

(١) هذا الإحصاء جاء من خلال استقراء الفعل في الديوان .
(٢) يوم الجسر – بكسر الجيم -: إذا قالوا الجسر ويوم الجسر ولم يضيفوه إلى شيء فإنما يريدون الجسر الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة، ويعرف أيضًا بيوم قُسّ الناطف، وكان من حديثه أن أبا بكر - رضي الله عنه – أمر خالد بن الوليد وهو بالعراق بالمسير إلى الشام لنجدة المسلمين ويخلف بالعراق المثنّى بن حارثة الشيباني، فجمعت الفرسُ لمحاربة المسلمين، وكان أبو بكر قد مات فَسَيَّر المثنى إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يُعَرِّفه بذلك، فندب عمرُ الناسَ إلى قتال الفرس فهابوهم، فانتدب أبو عبيدة بن مسعود الثقفي والد المختار بن أبي عبيد في طائفة من المسلمين، فقدموا إلى بانِقْيا، فأمر أبو عبيد بعقد جسر على الفرات، ويقال: بل كان الجسر قديمًا =

الثقفي[1] يوم أن ضرب الفيل في خرطومه في معركة الجسر فقتله الفيل:

وما لمتُ نفسي فيهم غير أَنّها
إلى أَجَلٍ لم يأتِها وهو عاجلُ
وما رِمْتُ[2] حتى خَرَّقوا برماحهم
ثيابي وجادت بالدماء الأباجلُ[3]
وحَتَّى رَأَيْتُ مُهْرَتي مُزْوَئِرَّةً[4]
لَدَى الفِيْلِ يَدْمَى نَحْرُها والشَّواكِلُ[5]
وما رُحْتُ حتى كنت آخرَ رائحٍ
وصُرِّعَ حَوْلي الصالحون الأماثلُ[6]

=هناك لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فأصلحه أبو عبيد، وذلك في سنة ١٣ هـ، وعبر إلى عسكر الفرس وواقعهم، فكثروا على المسلمين ونكوا فيهم نكاية قبيحة لم ينكوا في المسلمين قبلها ولا بعدها مثلها وقتل أبو عبيد رحمه الله، وانتهى الخبر إلى المدينة - رضي الله عنه -:

لـــقد عظمت الــرزيَّة إننـــــا جلاد على ريب الحوادث والدهر
على الجسر قتلى، لَهْف نفسي عليهم فيــا حســرتا ماذا لقينا من الجسر

معجم البلدان ٢ / ١٤٠، وبيتا حسان في ديونه / ١١٥ / تحقيق: سيد حنفي حسين / دار المعارف / القاهرة / بدون تاريخ .

(١) أبو عبيد بن مسعود: هو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، اسْتُشْهِد مع جماعة من المسلمين في قتال الفرس في معركة الجسر سنة ١٣هـ ، في خلافة عمر بن الخطاب، وكان أبو عبيد بن مسعود عبر الفرات إلى نهروان، فقطعوا الجسر خلفه فَقُتِلَ، ويقال: إن الفيل برك عليه فمات تحته، فأخذ الراية أخوه الحكم فَقُتِلَ، فأخذها جبر بن أبي عبيد فَقُتِلَ . الوافي بالوفيات ٩ / ١٩٨ / لصلاح الدين الصفدي / تحقيق: أحمد الأرناءوط، وتركي مصطفى / دار إحياء التراث / بيروت / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، الإصابة ٧ / ٢٢٣ .

(٢) رِمْت: برحت، والرَّيْم: البراح، ويقال: رام يريم إذا برح، وما رِمْت المكان: ما برحت منه، وريَّم بالمكان: أقام به . لسان العرب / مادة: ريم .

(٣) الأباجل: جمع الأَبْجَل، وهو عرق في ذراع البعير والفرس بمنزلة الأكحل من الإنسان . لسان العرب، المعجم الوسيط / لمجمع اللغة العربية / مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية / الطبعة الثالثة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م / مادة: بجل .

(٤) مُزْوَئِرَّة: نافرة ومنحرفة ومعرضة، يقال: ازورّ عن الشيء: أعرض وانحرف عنه، والازورار عن الشيء: العدول عنه . لسان العرب / مادة: زور .

(٥) الشواكِل: جمع شاكلة، وهي من الفرس الجلد الذي بين عَرْض الخاصرة والثَّفِنة، وهي موصل الفخذ من الساق . لسان العرب، القاموس المحيط / مادة: شكل .

فشاعرنا هنا يوضح لنا مدى شجاعته ومدى ثباته ضد الأعداء وصبره على مجاهدتهم، فنفى عن نفسه لومه لها، فما برح المعركة حتى أكثروا عليه الطعن، وأسالوا منه الدماء، وذهب الكل من ساحة القتال، وصُرِّع حوله الفرسان البُهَم .

ومن يتأمل في الأفعال " لمتُ " و " رِمتُ " و " رُحْتُ " يجد أنها أتت بأسلوب الماضي المسند إلى ضمير التكلم، وأتت كذلك منفية بأداة النفي " ما " ؛ وذلك لأن " ما " النافية إذا دخلت على الفعل الماضي بقي على مضيه (١)، بخلاف " لا " النافية - مثلًا - ؛ لأن " لا " لنفي المستقبل، وقد تكون لنفي الماضي (٢) .

والناظر في النفي في البيتين الثاني والرابع يرى أن الشاعر لم يجعله نفيًا مطلقًا، وإنما قيده بغاية معينة وهي قوله : " حتى خرّقوا برماحهم ثيابي، وجادت بالدماء
الأباجل " في البيت الثاني، وقوله : " وحتى رأيت مهرتي مزوئرة لدى الفيل يدمى نحرها والشواكل " في البيت الثالث، وقوله: " حتى كنت آخر رائح وصُرِّع حولي الصالحون الأماثل " في البيت الرابع .

وهذا التقييد بتلك الغاية يدل على مدى شجاعة أبي محجن وفروسيته وصبره وثباته ورباطة جأشه في أرض المعركة، فهو لم يفارق أرض المعركة من أول جولة، وإنما ما زال صامدًا ومرابطًا حتى كثر عليه الطعن والجراح، وسالت منه الدماء، وصُرِّع حوله الشجعان البهم، ورأى مهرته نافرة من الفيل، وقد سال الدم من نحرها وخاصرتها من شدة الطعن وكثرة الضرب، وليس هذا فحسب، بل ما برح ساحة

---

(٦) ديوان أبي محجن / ٣٨، ٣٩ (الطويل) .

(١) الجنى الداني / ٣٢٩ / للمرادي / تحقيق: د / فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م، بناء الجملة العربية / ٢٥٨، ٢٦٨ / د / محمد حماسة عبد اللطيف / دار غريب / ٢٠٠٣م .

(٢) الجنى الداني / ٢٩٦، ٢٩٧، فروق متشابهات في بعض الأدوات النحوية في ضوء أساليب القرآن الكريم / ١٨٨ / د / أحمد السعيد نافع / مطبعة الأمانة / الطبعة الأولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م .

المعركة وميدان القتال - بالإضافة إلى ما سبق - حتى أصبح وحيدًا في الميدان، فلله دره ما أشجعه !!!

وفي التعبير بـ " حتى " الدالة على الغاية هنا إيحاء بأن في الكلام رؤى ومشاهد وأحداثًا من بداية نزوله لساحة المعركة إلى أن فارقها طواها هذا الحرف، أي فنزل إلى أرض المعركة فرأى ما رأى، وأخذ يصول ويجول بفرسه وسيفه، وأخذ يقصف الأعداء قصفًا منكرًا، فلم يثبت أمامه أحد، واستمر على ديدنه هذا حتى ذهب كل الناس من ساحة القتال، وما راح حتى كان آخر رائح، وصُرِّع حوله الفرسان الأبطال .

وفي هذا الشاهد من شعر أبي محجن بعض النكات البلاغية الأخرى - بالإضافة إلى ما سبق - تسهم في إبراز المعنى وتساعد على إيضاح المقصود، ومن ذلك تضعيف الفعل " خَرَّق " للدلالة على التكثير، فلم يصب أبو محجن بجرح واحد أو طعنة واحدة، وإنما كثرت عليه الجراح والطعنات .

وأيضًا المجاز المرسل في قوله : " ثيابي " لعلاقة المجاورة ؛ لأن الثياب لم تكن هي المقصودة بالطعن، ولكن المقصود بالطعن هو الجسد، فجعل تخريق الثياب عبارة عن وقوع الطعن فيه، ودل على ذلك بقوله : " وجادت بالدماء الأباجل، وإنما ذكر الثياب وأراد الجسد، لمجاورة أحدهما للآخر، وذلك على حد قول عنترة العبسي :

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثيابَه

لَيْسَ الكَرِيْمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ (١)

واستخدم الفعل المضارع في قوله : " يَدْمَى " لاستحضار هذه الصورة المدهشة - ألا وهي صورة مهرته وقد نفرت من الفيل ودمى نحرها وخاصرتها من شدة الطعن وكثرة الضرب - أمام المتلقي، حتى تصبح كأنها مشاهدة وماثلة أمام عينيه .

(١) شرح المعلقات السبع / ٢٥٠ / للزوزني / دار مكتبة الحياة / بيروت / لبنان / ١٤١١ هـ - ١٩٩١م (الكامل) .

وكذلك التعبير بـ " الصالحون الأماثل "، الأمر الذي يدل على ثباته في المعركة رغم قتل الشجعان البهم الأماثل، وهذا يدل على قوة شجاعته، وشدة بسالته .

٢ـ الفعل الماضي في سياق التأكيد :

لقد استخدم أبو محجن الفعل الماضي مؤكدًا في شعره، وجاء ذلك مؤكدًا بـ " قد " تارة، و" قد " والقسم تارة أخرى، وذلك حسب مقتضيات الأحوال ومتطلبات السياق .

فقد ورد الفعل الماضي مؤكدًا بـ " قد " عند أبي محجن إحدى عشرة مرة، ومن شواهد ذلك قوله عندما نَقِمَ عليه سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - شربه الخمر، فنفاه إلى جزيرة في البحر وأرسل معه حَرَسِيًّا (١) يقال له: (ابن جَهْراء) (٢)،

فراغ منه ولحق بسعد بن أبي وقاص :

الحمدُ للهِ الذي نَجَّاني وخَلَّصني

من"ابنِ جَهْراء"والبُوْصِيُّ (٣) **قَدْ حُبِسا** (٤)

فجاء الفعل " حُبِسَ " بصيغة الماضي مؤكدًا بحرف التحقيق " قد "؛ ليؤكد نجاته وحبس البوصي في البحر، ومما يؤكد تأكيد (قد) للفعل أنها " تدخل على الفعل الماضي المتوقع، فتؤكد وقوعه وتحقّقه فيكون

(١) الحَرَسِيّ: مفرد الحُرَّاس، وهو أحد حَرَس السلطان وخدمه المرتبون لحفظه وحِراسته . لسان العرب / مادة: حرس .
(٢) ذكره ابن حجر ضمن الكنى برقم: (٩٧٠٧) باسم (أبو جهراء) وذكر أن له إدراكًا، وأن عمر - رضي الله عنه - كان يأتمنه . الإصابة ٧ / ٦٦ .
(٣) البُوْصِيّ: ضرب من السفن، وهو مُعَرَّب " بُوْزِيْ " بالفارسية . لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس / مادة: بوص / للزبيدي / دار الفكر .
(٤) ديوان أبي محجن / ٣١ (البسيط) .

معها كالمعايَن المشاهَد، فيقترب بذلك من الحال، وتدخل على الفعل المضارع المشكوك في حصوله ؛ فتجعل حصوله متوقعًا " (١) .

وجاء بالفعل " حُبِسَ " مبنيًا للمجهول لعدم تعلق فائدة بذكر الفاعل .

ووصف الشاعر الله - سبحانه وتعالى - بقوله : " الذي نجّاني وخلّصني " بدلًا من أن يقول - مثلًا - : " الحمد لله السميع البصير أو غير ذلك " ؛ لتعلق النجاة والتخليص بحاله ولشدة إحساسه بهاتين النعمتين وتلك المِنَّتَيْنِ من الله - سبحانه وتعالى - عليه .

وذكر الشاعر قوله : " وخلصني " بعد قوله : " نجاني " وهما مترادفان توكيدًا للمعنى، لكن يؤخذ عليه ذلك في الشعر ؛ " لأن من حق الشعر أن تكون ألفاظه كالوحي، ومعانيه كالسحر " (٢) .

ويؤكد ذلك قول البحتري :

والشِّعْرُ لَمْحٌ تَـكْفِي إِشـارَتُه

وَلَيْسَ بِـالْهَذْرِ (٣) طُوِّلَتْ خُطَبُهْ (٤)

وقوله في تركه للخمر وذمه لها :

وكَيْفَ - وقَدْ أَعْطَيْتُ ربِّي مَوَاثِقًا -

أَعُوْدُ لها، وَاللهُ ذو العَرْشِ شاهِدِي؟ (٥)

فأبو محجن ينكر على نفسه العودة إلى شرب الخمر، وقد أقلع عن شربها قناعة بضررها ؛ وذلك لما أعطى ربه من المواثيق والعهود، ولما يعتقده في قلبه من مشاهدة ورؤية الله - سبحانه وتعالى - له .

---

(١) من نحو المباني إلى نحو المعاني / ١٢١ / د / محمد طاهر الحمصي / دار سعد الدين / دمشق / الطبعة الأولى / ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م .، وينظر: الجنى الداني ٢٥٦، ٢٥٧ .

(٢) شرح ديوان أبي محجن / ٣٢ .

(٣): الهَذْر: هو الكلام الذي لا يُعْبأ به، يقال: هَذَرَ كلامُه هَذْرًا: كثر في الخطأ والباطل، والهَذْر: الكثير الرّديء . لسان العرب / مادة: هذر .

(٤) ديوان البحتري ١ / ١٩٦ / تحقيق: د / يوسف الشيخ أحمد / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (المنسرح) .

(٥) ديوان أبي محجن / ٤١ (الطويل) .

وجاء الشاعر بالفعل " أعطى " ماضيًا مؤكدًا بحرف التحقيق ؛ ليؤكد عدم معاودته لشرب الخمر، هذا بالإضافة إلى التعبير بلفظ "رب" الدال على الربوبية، إذ كيف يعود إلى معصية الله - عز وجل - بشرب الخمر، والله - تبارك وتعالى - هو الذي رباه ورعاه .

وكذلك جمع كلمة " مواثقًا "، الدال على أنه لم يعط ربه ميثاقًا واحدًا، بل أعطاه مجموعة من المواثيق، فكل ذلك زاجر ورادع له ؛ لئلا يعاود شرب الخمر .

وقوله في شأن الخمر أيضًا :

إِنْ كانت الخَمْرُ قَدْ عَزَّتْ (١) وقَدْ مُنِعَتْ

وحالَ مِنْ دُوْنِها الإسلامُ والحَرَجُ (٢)

فَـــقَدْ أُباكِـــــرُها رِيًّا وأَشْـــرَبُها

صِرْفًا (٣) وأَطْرَبُ أَحْيانًا فَأَمْتَزِجُ (٤) (٥)

فأبو محجن يخبرنا هنا بإصراره على شرب الخمر، فهو مصر على تعاطيها حتى لو قلّت أو مُنِعَتْ، وحال دون شربها الإسلام والحرج، فرغم كل هذا هو يباكرها صِرْفًا خالصة، وربما يطرب فيشربها ممزوجة ؛ لئلا تدخله في السكر.

---

(١) عَزَّ الشيء يَعِزّ عِزًّا وعَزَازة، وهو عزيز: قَلّ حتى ما كاد يوجد . لسان العرب / مادة عزز .

(٢) الحرج: الضيق، ويقع على الإثم والحرام، وقيل الحرج: أضيق الضيق . لسان العرب / مادة: حرج .

(٣) الصِّرْف: الخالص من كل شيء، وشراب صِرْف: أي بحت لم يمزج بشيء كالماء أو اللبن ونحوهما . السابق / مادة: صر ف .

(٤) المَزْج: الخَلْط، يقال: مزج الشراب: خلطه بغيره، يقال مَزَج الشيء يَمْزُجُه مَزْجًا فامتزج: خلطه . السابق / مادة: مزج .

(٥) ديوان أبي محجن / ٤٦ (البسيط) .

وفي تأكيد أبي محجن للفعلين " عزّ " و " مُنِعَ "بحرف التحقيق " قد " دلالة شدة امتناع الخمر وصعوبة الوصول إليها، وفي هذا أيضًا إيضاح وبيان لإصراره على تعاطي الخمر مهما كان الأمر حتى لو قلّت أو مُنِعَتْ .

وبنى الفعل " مُنِعَ " للمجهول لعدم اكتراثه بالمانع، ومما يؤيد ذلك قوله : " وحال من دونها الإسلام والحرج " .
وقدم الإسلام على الحرج ؛ لأن الإسلام هو الأصل والأقوى في الزجر والردع، ثم يأتي بعد ذلك الحرج والحياء .

وقوله راثيًا أحد الأمراء :

إِنْ يَكُنْ وَلّى الأَمِيـْر فَقَدْ

طَابَ منه النَّجْلُ والأَثَرُ(١)

فأبو محجن يذكر أن هذا الأمير إن كان قد ولى وذهب لسبيله فقد طاب وحسن منه بعده الولد الصالح والعمل الحسن .
وجاء بالفعل " طاب " مؤكدًا بحرف التحقيق " قد " ؛ ليؤكد طيب وحسن الولد والأثر بعد هذا الأمير، فطيب الفرع وَصْل لطيب الأصل .

وأورد هذا الفعل " طاب " بصيغة الماضي مع كونه جوابًا لأداة الشرط " إن " والأصل في جوابها أن يكون بصيغة الاستقبال كما هو الحال في الشرط في قوله : " يكن " ؛ وذلك لشدة الرغبة في حصول الأمر وتحققه وتنبيهًا على أن ما هو للواقع كالواقع، حتى أصبح كأنه حدث ووقع بالفعل ثم أُخْبِرَ عنه .

(١) السابق / ٥٨ (المديد) .

وقد ورد الفعل الماضي مؤكدًا بالقسم عند أبي محجن ثلاث مرات، وذلك في قوله بعد انتهائه من حرب القادسية ورجوعه إلى محبسه ووضعه رجليه في القيد كما كان وفاء بالوعد الذي كان قد وعده لزوجة سعد بن أبي وقاص :

لقد عَلِمَتْ ثقيفٌ غَيْرَ فَخْرٍ

بأنّـَا نَـحْنُ أجـودُها سـيوفًا

وأَكْثَرُها دُروعًا ضافياتٍ (١)

وأصبَرُها إذا كَرِهوا الوُقوفا (٢)

فأبو محجن يفتخر بقبيلته بني ثقيف وبشجاعتها في الحروب كلها وبأسها على العدو، ويفتخر بكرم السيوف بنفسه، وينبئ ويخبر هنا عن علم قومه بمدى قوة شجاعته وشدة بسالته، ومدى تأهبه واستعداده للحرب باستكماله لأدواتها من سيوف ماضية بَتّارة، ودروع سابغات، وصبر وجلد في ساحة القتال إذا كره الوقوف والثبات فيها الشجعان البُهَم البواسل .

وأتى بالفعل " علم " مؤكدًا بالقسم المحذوف الذي دل عليه جوابه - ومعلوم أن القسم من أدوات التوكيد - ؛ لأن فيه إشعارًا من المُقْسِم بأن ما يقسم عليه أمر مؤكد عنده لا شك فيه .

وأُكِّد كذلك بحرف التحقيق " قد " ؛ ليؤكد للمخاطب علم ثقيف بما هو عليه من شجاعة وصبر واستكمال لأدوات الحرب من سيوف ماضية، ودروع سابغة .

وقد يكون هذا التأكيد لإظهار قوة إحساس أبي محجن بالمعنى الذي صاغه في ألفاظه، فهو يؤكد قوة ما يحسه ويشعر به .

---

(١) ضافيات: جمع ضافية، والدروع الضافية: التامة السابغة، يقال: ضفا الشيء يضفو ضَفْوًا وضُفُوًّا: إذا تمَّ وسَبَغَ، والضفو: السُّبُوغ. لسان العرب، القاموس المحيط ، تاج العروس / مادة: ضفو .

(٢) ديوان أبي محجن / ٤٧، ٤٨ (الوافر) .

وجاء أبو محجن بقوله : " غير فخر " احتراسًا ؛ ليبين للمتلقي أن وصفه لنفسه بهذه الصفات ليس من قبيل الكبر والخيلاء، وإنما ذلك من باب الاعتزاز بالنفس والتحدث بالنعمة .

ولشدة اعتزاز الشاعر بنفسه وتعظيمه لها عبر عن نفسه بضميري الجمع " نا " و " نحن " في قوله : " بأنا نحن " .

ولا يخفى ما في التعبير بصيغة التفضيل في قوله : " أجودها سيوفًا " و " أكثرها دروعًا ضافيات " و " أصبرها إذا كرهوا الوقوفا " من الدلالة على المبالغة في الاتصاف بهذه الصفات .

وقوله بعد رؤيته للشُّمُوس :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الشُّمُوسِ[1] وَدُوْنَهَا

حَـرَجٌ من الرَّحْمَنِ غَيْرُ قَلِيْلِ

قَـدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي كَأَغْنَى وَاحِـــدٍ

وَرَدَ المَدِيْنَةَ عن زِراعَةِ فُولِ[2]

فأبو محجن يبين لنا هنا شدة ما عاناه من أجل الوصول للنظر إلى الشموس هذه التي أحبها، حتى إنه آجر نفسه من عامل يعمل في بستان بجوار منزلها، فأشرف من مكان في البستان فرآها، وقد كان يحسب نفسه كأغنى واحد عن أن يكون عاملًا في البستان، لكن الحاجة تفتق الحيلة، ومن الحب ما قتل .

وبما أن النظر إلى الشموس كان صعبًا وعسيرًا على أبي محجن إلى هذا الحد مع شدة رغبته في النظر إليها لشدة تعلق قلبه بحبها فقد جاء بالفعل " نظر " مؤكدًا بالقسم وحرف التحقيق " قد " ؛ ليؤكد الخبر – وهو رؤيته للشموس - لدى المتلقي، ولينقل إليه قوة إحساسه وشعوره بهذا المعنى .

وقال أبو محجن : " نظرت " ولم يقل - مثلًا - : " رأيت " أو "شاهدت " مع تقارب ذلك في المعنى ؛ لما يدل الفعل " نظر " من

(٢) ديوان أبي محجن / ٦١ (الكامل) . ورواية الديوان (قول) - بالقاف - وهي ليست بشيء، ورواية الأغاني (فول) بالفاء، وهي ما أثبتها لصوابها . الأغاني ١٩ / ٥ .

الـتأمل و التدقيق في الشيء، فهو لم يرها مجرد رؤية، وإنما رآها بعينيه، وأشبع منها ناظريه، وتأمل في محاسنها ومظاهر جمالها مدققًا فيما شاهده ورآه، وهكذا رؤية المحبين، ولا سِيّما الشعراء منهم .

وقد كان أبو محجن من سَراة قومه وعظمائهم وأغنيائهم ؛ ولذا جاء بقوله : " قد كنت أحسبني كأغنى واحد ورد المدينة عن زراعة فول " مؤكدًا بحرف التحقيق " قد " ؛ لئلا يظن بعض الناس أن عمله بالزراعة من طبيعته ومهنته وحاجته إليها .

وقوله في مالك بن عوف عندما استعمله الرسول - ﷺ- على قومه، وعلى من أسلم من القبائل المنتشرة حول الطائف - ثُمالة، و سَلِمَة ، وفَهْم - فكان يقاتل بهم ثقيفًا، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه حتى ضَيَّق عليهم [1] :

هابَتْ الأَعْـداءُ جانِبَنا ثـُمَّ تَغْزُوْنا بَنُو سَـلِمَهْ
وأَتـانا مـالِكٌ بِـهِمُ ناقِضًا لِلْعَهْدِ والحُرُمَهْ
وأَتَـوْنا فـي مَنازِلِنا ولَـقَدْ كُنّـا أُولِـي نَقِمَهْ [2][3]

فأبو محجن ينعى على مالك بن عوف ومن كان معه غزوهم لثقيف وهم من هم في شجاعتهم وبسالتهم وهيبة أعدائهم لهم، هذا بالإضافة إلى نقضه للعهد والحرمة .

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١٧٤ / الطبري / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م .
(٢) النَّقِمَة: - بفتح النون كسر القاف - هي النِّقْمَة - بكسر النون وسكون القاف - وذلك بمعنى المكافأة بالعقوبة، والجمع نَقِم ونِقَم . لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس / مادة: نقم .
(٣) ديوان أبي محجن / ٦٢ (المديد) .

وجاء بقوله : " ولقد كنا أولي نقمة " مؤكدًا بالقسم وحرف التحقيق "قد "، وكأنه ينكر على عوف بن مالك غزوه لثقيف الذين كانوا أولي النقمة والعذاب .

ونلحظ هنا أن أبا محجن عبر بالفعل" تغزو " بصيغة المضارع بعد الفعل " هاب " بصيغة الماضي لاستحضار الصورة وبيان أن غزو بني سليم لثقيف أمر غريب ما كان ليحدث، ولا ينبغي أن يكون .

٣ ـ الفعل الماضي في سياق الشرط :

من أساليب الربط في الكلام أسلوب الشرط، حيث إن أداة الشرط تقتضي شرطًا وجوابًا، ولا يصح المعنى ولا تتم الفائدة بأحدهما دون الآخر، وهذا من أس البلاغة .

والأصل في الشرط وجوابه أن يكونا مستقبلين، لتعليق حصول الجزاء على حصول الشرط في الاستقبال، فإن ورد أحدهما أو كلاهما بلفظ الماضي فهو ماضٍ لفظًا مستقبل معنى ؛ لأن أداة الشرط تنقل الماضي إلى معنى الاستقبال (١)، وذلك لا يكون إلا لأغراض بلاغية اقتضاها المقام، ودعا إليها السياق، ونادى بها الأسلوب .

هذا، وقد ورد الفعل الماضي في سياق الشرط عند أبي محجن ستًا وعشرين مرة، فجاء عشر مرات مع أداة الشرط " إن "، وأتي اثنتي عشرة مرة مع أداة الشرط " إذا "، وجاء أربع مرات مع أداة الشرط " لما "، وذلك على النحو التالي :

أـ الفعل الماضي مع أداة الشرط " إن " :

من المقرر المعلوم لدى البلاغيين أن أداة الشرط " إن " " تستعمل في الشرط غير المقطوع بوقوعه، بأن يتردد في وقوعه في المستقبل،

(١) بحوث المطابقة لمقتضى الحال / ٢٢٣، ٢٢٤ / د / علي البدري / المكتبة الحسينية / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

أو يظن عدم وقوعه ويترجح على الوقوع، أو يكون مما لا يقع إلا نادرًا " [1] .

ومن شواهد مجيء الفعل الماضي في سياق الشرط مع أداة الشرط " إن " عند أبي محجن قوله معتزًّا بعفته وقوته وإبائه :

عَفُّ الإِياسَةِ [2] عمّا لستُ نائلَهُ

وإنْ ظُلِمْتُ شَدِيْدُ الحِقْدِ [3] والحَنَقِ [4] [5]

فجاء الفعل الماضي مع أداة الشرط " إن " في قوله : " وإن ظُلِمْتُ"؛ ليفيد بذلك أن وقوع الظلم عليه أمر غير مقطوع به، ولا يترجح وقوعه، ولا يكون إلا نادرًا، وكيف لا يكون الأمر معه كذلك وهو من الفرسان الأبطال البُهَم ؟

وأتى أبو محجن بالفعل " ظُلِمَ " مبنيًا للمجهول ؛ تجاهلًا للفاعل، وكأن الظالم له غير موجود أصلًا، أو لأنه لا يقصد ظالمًا بعينه، وإنما يقصد أيّ ظالم كائنًا من كان .

والتعبير بالماضي " ظُلِمَ " هنا ليس للدلالة على تحقق الوقوع، وإنما جاء ذلك على سبيل الافتراض والتقدير، وكأن المعنى : لو افترض وقدر أن ذلك قد حدث فأنا شديد الحقد والغيظ .

وقوله مفتخرًا بعد انتهائه من حرب القادسية وعودته إلى قيده وفاء بوعده لزوج سعد بن أبي وقاص :

---

(١) البلاغة العالية (علم المعاني) / ٩٩ / لعبد المتعال الصعيدي / مكتبة الآداب، الطبعة الثانية / ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، علم المعاني ١ / ١٧٧ / د / بسيوني فيود .

(٢) الإياسة: القنوط، ضد الرجاء، أو قطع الأمل، يقال: يَئِس ييأس يأسًا ويآسة، وأَيِس إياسًا: قنط .القاموس المحيط / مادتي: أيس ويئس .

(٣) الحِقْد: ما يمسكه ويضمره الإنسان في قلبه من عداوة لغيره لحين التمكن منه . السابق / مادة: حقد .

(٤) الحَنَق: الغيظ، أوشدته، يقال: حَنَق يَحْنَق حَنَقًا فهو حَنِق وحَنِيق . السابق / مادة: حنق .

(٥) ديوان أبي محجن / ٢٨(البسيط) .

وأَنا رِفْـــدُهُمْ[1] في كُلِّ يَوْمٍ

فَإِنْ غَضِبُوا فَسَلْ رَجُلًا عَرِيْفًا[2][3]

فأتى أبو محجن بأداة الشرط " إن " مع الفعل "غَضِبَ " ؛ ليفيد أن إنكار قومه لما افتخر به لا يكون أمرًا محققًا، بل هو أمر متردد فيه، وغير مقطوع بوقوعه ؛ وذلك لمكانته المشهورة عند قومه، وعلمهم بحاله ومكانته شجاعةً وإباءً وكرمًا .

والأمر في قوله : " سَلْ " على سبيل الفخر والمباهاة، ووَصْفُ الر جل الذي طلب سؤاله في حالة الإنكار بكونه " عَرِيْفًا "، ومجيء هذا الوصف على صيغة المبالغة، حيث قال : " عَرِيْفًا "، ولم يقل : "عارفًا " ؛ ليفيد أن معرفة حقيقة أمره معرفة صحيحة صادقة لا تكون إلا عن طريق رجل كثير العلم والمعرفة بحاله .

وقوله مفتخرًا بشجاعة قومه :

إِنْ حَمَلوا لم نَرِمْ[4] مواضعنا

وإن حَمَلْنا جَثَوا[5] على الرُّكَبِ[6]

فأبو محجن يفخر هنا بشجاعة قومه، ويزهو ببسالتهم، فذكر أنهم قوم شجعان أقوياء، لا يفرون من ساحة القتال إن حمل عليهم عدوهم، وذلك بخلا ف ما عليه عدوهم، فهم قوم ضعاف جبناء، يفرون من المعركة، ويجثون على ركبهم حينما يحملون عليهم .

---

(١) الرِّفْد: العطاء والصلة، يقال: رَفَدْته رَفْدًا، والاسم: الرِّفْد، والإرفاد: الإعطاء والإعانة، والمرافدة: المعاونة . لسان العرب، والقاموس المحيط / مادة: رفد .

(٢) العَرِيف: العارف، وهو من يُعَلِّم أصحابه، والجمع: عرفاء، والعريف النَّقِيب والسيد والقَيِّم . لسان العرب، القاموس المحيط / مادة: عرف .

(٣) ديوان أبي محجن / ٤٨ (الوافر) .

(٤) نَرِم: نبرح، والرَّيم: التباعد، يقال: ما رمت المكان، ومنه: أي ما برحت . لسان العرب، القاموس المحيط / مادة: ريم .

(٥) جَثَوا: جلسوا على ركبهم، يقال: جثا، كدعا ورمى جُثُوًّا وجِثِيًّا وجُثِيًّا - بضم الجيم وكسرها -: جلس على ركبتيه، وأقام على أطراف أصابعه . السابق / مادة: جثو .

(٦) ديوان أبي محجن / ٥٧ (المنسرح).

وجاء بأداة الشرط " إن " للدلالة على أن كلا الحملين أمر نادر الوقوع أو غير محقق، إلا أن حمل قوم أبي محجن نادر ؛ لأنهم لا يحملون على أحد إلا حينما يعتدي عليهم، ونادرًا ما يُعْتَدَى عليم لقوة شجاعتهم وفرط بسالتهم، بخلاف حمل أعدائهم عليهم، فهو حمل نادر الحدوث نظرًا لضعفهم وضعف عدتهم ؛ ولذلك فهم يمنون بالهزيمة والخذلان في حالة الحمل عليهم .

ونلحظ هنا أن أبا محجن خالف بين صيغتي جواب الشرط في الشرطين، فعبر في جواب الشرط الأول بصيغة المضارع " نَرِم " لاستحضار الصورة وجعلها ماثلة مشاهدة أمام المخاطبين، وعبر في جواب الشرط الثاني بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع .

ونلحظ كذلك أن أبا محجن جاء هنا وفي المثالين السابقين بفعل الشرط بلفظ الماضي مع أداة الشرط " إن "، وهي تقتضي الاستقبال، لكن هذه الأفعال وإن كانت ماضية لفظًا فهي مستقبلة معنى ؛ لأن أداة الشرط تنقل الماضي من المضي إلى الاستقبال ؛ لما يقتضيه أسلوب الشرط من الدلالة على تعلق حصول الجزاء على حصول الشرط في الاستقبال .

وقوله في رثاء أحد الأمراء :

إِنْ يَكُنْ وَلَّى الْأَمِيْرُ فَقَدْ

طابَ منه النَّجْلُ والْأَثَرُ (١)

فأبو محجن يرثي هذا الأمير ويُذَكِّر الأحياء بأنه إن كان قد توفي الأمير الذي كان من شمائله كذا وكذا، فقد وُجِدَ بعده النجل والأثر الطيبين اللذين يحملان عنه حسن الأثر وجميل الشمائل .

وتولية الأمير أمر متوقع ومحقق الوقوع ؛ ولذا كان المتوقع أن يعبر أبو محجن هنا بـ " إذا " التي تأتي مع الواقع المحقق، ولكن أبا محجن جاء هنا بـ " إن " التي ترد مع المشكوك فيه وغير المحقق، وفي هذا

(١) السابق / ٥٨، البحث صـ (المديد) .

إشارة إلى أن أبا محجن كان كأنه يستبعد تولية ووفاة الأمير الواقعة قطعًا .

ومما يعضد ذلك ويؤكده تعبيره بالمضارع " يكن " الدال على الاستقبال، وكأن هذه التولية لم تحدث وإنما ستحدث .

وبما أن تولية الأمير - وإن كان أبو محجن يستبعدها لأمر ما - إلا أنها بالفعل قد وقعت، فقد عبر أبو محجن بالماضي في قوله : " وَلَّى " للدلالة على ذلك .

وعبر بقوله : " فقد طاب منه النجل والأثر " بلفظ الماضي في الفعل " طاب " للدلالة على الحرص والرغبة في تحقق الوقوع، وأكد ذلك بحرف التحقيق " قد " .

ب - الفعل الماضي مع أداة الشرط " إذا " :

لقد أفاد البلاغيون أن أداة الشرط " إذا " تأتي مع الشرط المحقق والمقطوع بوقوعه (١)، وتستعمل بحسب وضعها في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه مستقبلًا ؛ ولذا يتلوها الماضي لدلالته على تحقق الوقوع والحصول (٢) .

ومن هذا قول أبي محجن مفتخرًا بنفسه :

قَدْ يعلمُ الناسُ أنَّا من سَرَاتِهِمُ (٣)

إذا سَما بَصَرُ الرِّعْدِيْدَةِ (٤) الفَرِقِ (٥) (٦)

---

(١) خصائص التراكيب / ٣٢٢ د / محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / الطبعة الرابعة / ١٤٦٦ هـ - ١٩٩٦م، علم المعاني ١ / ١٧٧ د / بسيوني فيود .

(٢) علوم البلاغة / ١٢٣ / أحمد مصطفى المراغي / دار القلم / بيروت / لبنان / بدون تاريخ، جواهر البلاغة / ١٥١ / لأحمد الهاشمي / تحقيق: د / يوسف الصميلي / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

(٣) سَراة: مفردها سَرِيّ، وسراة كل شيء: ما ارتفع منه وعلا، ويقال: سَرُو الرجل يسرو: أي ارتفع، وسراة القوم خيارهم وأشرافهم . لسان العرب / مادة: سرو .

(٤) الرِّعْدِيْدة: الجبان، والهاء فيه للمبالغة، وسُمِّي بذلك ؛ لأنه إذا دخل الحرب أرعد، والجمع الرعاديد . السابق، القاموس المحيط / مادة: رعد .

(٥) الفَرِق: شديد الخوف جبلة، يقال: فَرِق يَفْرَق فَرَقًا، جَزِع وخاف، والفَرَق: الخوف الشديد . لسان العرب / مادة: فرق .

(٦) ديوان أبي محجن / ٢٥ (البسيط) .

فأبو محجن يفتخر بشجاعة قومه في الحروب ؛ وذلك لمحاماتهم عن الحريم وصبرهم في اللقاء على مراس ومدافعة العدو في حالة فزع الجبناء الخائفين .
وعبر بـ " إذا " في قوله : " إذا سما بصرُ الرعديدةِ الفرقِ " ؛ ليفيد بذلك أن سمو ورفع بصر الرعديدة الجبان من الأعداء حينما يلتقي بهم قوم أبي محجن أمر محقق الوقوع ومقطوع به ولا شك فيه .

ومما يؤكد تحقيق وتأكيد سمو بصر الرعاديد الجبناء من الأعداء حينما يلتقون بقوم أبي محجن في ساحة القتال ويؤيده التعبير بالفعل " سما " بلفظ الماضي .

ونلحظ هنا أن أبا محجن ذكر سمو وفزع بصر الجبناء الرعاديد أمام قومه في الحروب، وهذا ليس أدل على قوة وشجاعة قومه، لكنه لو ذكر الشجعان الفرسان البُهَم الصُبُر بدلًا من الرعاديد الجبناء الفزعين لكان ذلك أدل على قوة وشجاعة وبسالة قومه ؛ لأن فزع الشجعان الفرسان أمام قومه في أرض المعركة يدل على أن قومه بلغوا غاية كبرى في الشجاعة ؛ ولذا قال أبو هلال العسكري : " ولو قال : إنا نَعْبُرُ ونحامي إذا سما بصرُ الشُّجاع الصبور لكان أجودَ، بل أبلغَ " [1] .

وقوله بعد انتهائه من القتال يوم القادسية ورجوعه ووضعه رجليه في القيد وفاء بالوعد الذي قد كان وعده زوج سعد بن أبي وقاص :

لَقَدْ عَلِمَتْ ثَقِيْفٌ غَيْرَ فَخْرٍ

بِأَنَّا نَحْنُ أَجْوَدُها سُيُوفًا

وأَكْثَرُها دُرُوعًا ضَافِيَاتٍ

وأَصْبَرُها إِذَا كَرِهُوا الوُقُوفا [2]

(١) شرح ديوان أبي محجن / ٢٦ .
(٢) البحث صـ ١٣.

فأبو محجن يزهو ويتيه هنا بشجاعته، ويخبرنا بعلم قومه ثقيف بأنه - بدون فخر - أجودها سيوفًا، وأكثرها دروعًا تامة سابغة، وأصبرها على الوقوف والثبات في ساحة القتال إذا تسعرت الحرب وحمي وطيسها، وبدأ القتال، وتنازل الأبطال، وقعقعت السيوف، وتتابعت الحتوف، ورميت الرماح، وارتفع الصياح، في حين كُرْه قومه الوقوف في ساحة القتال وفرارِهم من أرض المعركة .

وعبر أبو محجن بأداة الشرط " إذا " في قوله : " إذا كرهوا الوقوفا " ؛ ليدل بذلك على أن وقوفه وصبره وجلده في أرض المعركة في حال استعار القتال واشتعال الحرب في حين فرار قومه وكرههم الوقوف في أرض المعركة أمر محقق الوقوع، ولا شك فيه .

وجاء بقوله : " غير فخر " احتراسًا ؛ حتى لا يفهم من كلامه أن ما يريد أن يقرره على سبيل الفخر والخيلاء، وإنما ذلك من باب تقرير الحقائق والإخبار بالواقع .

وعبر عن نفسه بضميري الجمع في قوله : " أنَّا " و " نحن " تعظيمًا لنفسه، واعتزازًا بحالها، وفخرًا وتباهيًا بشأنها .

وقوله مخاطبًا ابنه في شأن وصيته بعد موته :

إِذا مُتُّ فادْفِنِّي إِلى أَصْلِ كَرْمَةٍ(١)

تُرَوِّي عِظامي في التُّراب عُرُوقُها(٢)

فعبر بـ " إذا " في قوله : " إذا مُتُّ " للدلالة على تحقق وقوع الموت وأنه أمر محقق لا مرية فيه، فكل نفس ذائقة الموت .

---

(١) الكَرْمة: واحدة الكَرْم، وهو شجر العنب، وسُمِّيَ الكَرْم بهذا الاسم، لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء والكرم، وتأمر بمكارم الأخلاق . لسان العرب ، تاج العروس / مادة: كرم .

(٢) ديوان أبي محجن / ٥٢ (الطويل) .

وفي قوله : " إذا مت فادفني إلى أصل كرمة ... " مبالغة في حبه للخمر، وتعطشه إليها، وزيادة تعلقه بها، حيث أظهر الرغبة إليها وهو ميت (١) .

والتعبير بـ " تروي عظامي " على سبيل المجاز ؛ لأن تروية العظام مجازية ؛ لأن الرِّىّ حقيقة يكون لذوات الأكباد من العطش، وليست العظام منها (٢) .

ج ـ الفعل الماضي مع أداة الشرط " لما " :

من المعاني التي تفيدها الأداة " لما " التعليق، أي الشرط، فتختص بالماضي و تقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما، وهي حرف وجوب لوجوب، وقال البعض : هي حرف وجود لوجود، بالدال. والمعنى قريب بينهما (٣) .

ولقد ورد الفعل الماضي مع أداة الشرط " لما " في ديوان أبي محجن بصورة قليلة، فقد ورد في أربعة مواضع فقط، **أما الموضع الأول** ففي قوله بعد تركه شرب الخمر :

فَلَمَّا دَرُوا(٤) عَنِّي الحُدُودَ تَرَكْتُها

وَأَضْمَرْتُ فيها الخَيْرَ، والخَيْرُ يُطْلَبُ(٥)

(١) خزانة الأدب ٨ / ٤٠٥ .
(٢) السابق / ٤٠٤ .
(٣) رصف المباني / ٣٥٣ / للمالقي / تحقيق: د / أحمد الخراط / دار القلم / دمشق / الطبعة الثانية / ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، الجنى الداني/ ٥٩٤ .
(٤) دَرُوا: أصلها: درؤوا، فترك الشاعر الهمزة استخفافًا، والدَّرْء: الدفع، يقال: دَرَأ الشيء يَدْرَأه دَرْءًا ودَرْأَة: دفعه، ودَرَأَ عنه البلاء: دفعه لسان العرب، أساس البلاغة / مادة: درأ / للزمخشري / دار التنوير العربي / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .
(٥) ديوان أبي محجن / ٤٥ (الطويل) .

فذكر أبو محجن أنه قد ترك الخمر وقد أضمر فيها الخير، وذلك حينما درأ عنه سيدنا سعد بن أبي وقاص حدّ الشرب بعد موقفه الشجاع في القادسية، وذلك بشرط أضمره سعد في نفسه، وهو إن ثبت على أبي محجن أنه شربها، فوفقه الله - جلّ شأنه - إلى التوبة النصوح، فلم يعد إليها بعد ذلك .

واستخدم أداة الشرط " لما " ؛ لإفادة ترتب حصول وجود جوابها على وجود شرطها، فتركه للخمر جاء مترتبًا على دَرْء سعد الحدّ عنه .

وجاء بكلمة " الحدود " بصيغة الجمع لكثرة إقامة الحد عليه نظرًا لتكراره الشرب وكثرة معاودته له .

وأما الموضع الثاني ففي قوله في إحدى مقطوعاته الغزلية :

تَمَنَّيْتُ أَنْ أَلْـقاهُما وتَـمَنَّتا

فَلَمّا الْتَقَيْنا اسْتَحْيَتا مـن مُنــاهُم

بَكَتْ هَذِهِ وانْهَلَّ[1] أَدْمُعُ هَذِهِ

وفاضَتْ دُمُوعِي في عِراضِ[2] بُكاهُما[3]

فأبو محجن قد تمنى لقاء حبيبتيه، وتمنتا هما كذلك لقاءه، فلما حدث الالتقاء استحيت حبيبتاه من مناهما، وسيطر عليهما الخجل، فمنعهما

(١) انْهَلَّ: تساقط وسال، يقال: انهلت العين بالدمع انهلالًا: تساقط دمعها وسال، وانهل المطر: اشتد انصبابه . لسان العرب / مادة: هلل .
(٢) عراض الشيء: شبهه وحذوه، يقال: أخذه في عراض كلامه: أي في مثل قوله ومقابله، والسير في عراض القوم: هو السير في حذوهم . لسان العرب / مادة: عرض .
(٣) ديوان أبي محجن / ٥١ (الطويل) .

من الإفصاح عن مرادهما، وأخذتا تبكيان، وأخذ هو أيضًا يبكي، وفاضت دموعه على مذاهب دموعهما .

وجاء بالفعلين " التقى " و " استحيى " في سياق الشرط بالأداة "لما" ؛ ليدل على تعليق حصول أحدهما على حصول الآخر، فلم يوجد الاستحياء إلا بوجود الالتقاء، وإذا لم يوجد الالتقاء لم يوجد الاستحياء، وفي هذا لون من ترابط الأسلوب وتماسك أجزائه .

وأما الموضعان الثالث والرابع ففي قوله في إحدى قصائده التي تصور فروسيته هو وقومه :

لَـمَّا رَأَيْنا خَـيْلًا مُحَجَّلَةً(١)

وَقَــوْمَ بَـغْيٍ فــي جَحْفَلٍ(٢) **لَـجِبِ**(٣)

طِرْنا إِلَيْهِمْ بِكُلِّ سَلْهَبَـةٍ(٤)

وَكُــلِّ صافي الْأَدِيْــمِ(٥) **كَـالــذَّهَبِ**

لَمَّا الْتَقَيْنا ماتَ الْكَلَامُ وَدَا

رَ الْمَوْتُ دَوْرَ الرَّحَى(٦) **على الْقُطُبِ**(٧)(٨)

فأبو محجن يخبرنا بأن قومه شجعان لا يرهبهم العدو الذي جاء بجيش جرار يملأ الآفاق، بل هم يَخِفُّون سراعًا للقائه كالطير على

(١) الخيل الْمُحَجَّلَة:هي التي تكون قوائمها الأربع بيضًا، والتحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس كلها، ويقال: فرس مُحَجَّل ومَحْجُل . لسان العرب، القاموس المحيط / مادة: حجل .
(٢) الجَحْفَل: الجيش الكبير الكثير، الجمع جحافل . السابق / مادة: جحفل .
(٣) اللِّجِب: الجلبة والصياح، يقال: لَجِبَ القوم يَجْلَبُون لَجَبًا: صاحوا وأجلبوا، وجيش لَجِب: ذو لَجَب ، السابق: مادة / لجب .
(٤) السَّلْهَبَة: الخفيفة الطويلة السريعة من الخيل، يقال: فرس سَلْهَب، وخيل سلاهب . أساس البلاغة، لسان العرب / مادة: سلهب .
(٥) الأديم: الجلد ما كان، وقيل: الأحمر، والجمع أُدُم وآدِمَة . لسان العرب: مادة: أدم .
(٦) الرَّحى: الأداة التي يطحن بها، وهي حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر، ويُدار الأعلى على قطب، والجمع أرحاء وأرْحِية ، المعجم الوسيط / مادة: رحي .
(٧) القُطُب: هو المحور القائم المثبت في الطبق الأسفل من الرَّحَى يدور عليه الطبق الأعلى، والجمع أقطاب وقُطُوب وقِطَبَة . السابق، القاموس المحيط / مادة: قطب .
(٨) ديوان أبي محجن / ٥٦، ٥٧ (المنسرح) .

ظهور خيل تسبح كالريح، وحين اللقاء صمتوا وتركوا لغة السيوف تتكلم في أعدائهم وتخطب على رؤوسهم .

واستعمل أداة الشرط " لما " هنا في موضعين : أما الموضع الأول ففي قوله : " لما رأينا ... طرنا " لإفادة ترتب وجود الجواب - وهو الطيران إلى العدو – على وجود الشرط، وهو رؤية العدو، فوجود الجواب مرهون بوجود الشرط .

وفي التعبير بقوله " رأينا " دليل على شجاعة وبسالة قومه، فهم لا ينتظرون العدو حتى يأتي إليهم فيبغتهم في أماكنهم، وإنما يهرعون إليه بمجرد أن يروه .
وفي قوله " طرنا " استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه الإسراع إلى العدو بالطيران، ثم حذف المشبه وصرّح بلفظ المشبه به، وهو الطيران، واشتق منه الفعل " طار " المسند إلى ضمير المتكلم " نا " .
وهذه الاستعارة تصور ما كان عليه قومه من شدة وقوة بأس وشجاعة في القتال، وعزة وإباء في النفس، هذا بالإضافة إلى أنهم لا يطيرون إلى العدو عزلًا، وإنما يطيرون إليهم مذودين بأداة الحرب الكافية التامة .
وأما الموضع الثاني ففي قوله : " لما التقينا مات الكلام بيننا، ودار الموت ... " ؛ وذلك لإفادة ترتب وجود موت الكلام وما عطف عليه على وجود الالتقاء بين الجيشين، فوجود الجواب متوقف ومترتب على وجود الشرط .
وفي التعبير بالفعل " مات " استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه الشاعر الصمت التام والسكوت الكامل بالموت، وحذف المشبه، وهو الصمت والسكوت، وصرح بلفظ المشبه به، واشتق من الموت الفعل " مات " وفي ذلك بيان للحالة التي كان عليها الفريقان من اشتعال للحرب، واستعار للقتل، واشتداد للضرب، وضراوة للمعركة، حيث إنه لم يعد هناك مجال أو وقت للكلام .

٤ـ الفعل الماضي بمعنى الأمر :

لقد ورد الفعل الماضي في ديوان أبي محجن على صورة الماضي وبلفظه، ولكنه بمعنى الأمر، وهذا ما يعرف لدى البلاغيين بوقوع الخبر في موقع الإنشاء، وهو إحدى صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر (١)، ولا يكون ذلك إلا لغرض بلاغي اقتضاه المقام، واستدعاه السياق، ونادى به الحال .

وقد ورد ذلك الأمر في ديوان أبي محجن في موضعين اثنين : أما الموضع الأول ففي قوله يرثي أبا عبيد بن مسعود بن عمرو يوم أن ضرب الفيل في خرطومه في معركة الجسر فقتله الفيل :

أَلَا لَعَنَ اللهُ الّذِيْنَ يَسُـرُّهُمْ

رَدَايَ(٢) وَما يَدْرُونَ ما اللهُ فاعِلُ(٣)

فأبو محجن يدعو على أعدائه الذين يسرهم موته وهلاكه وهم لا يدرون ما الله صانع بعد هلاكه وموته، فلعل الله يجعل من بقائه خيرًا . وقوله : " لعن " فعل ماضٍ جاء على صورة الماضي وبلفظه، ولكنه بمعنى الأمر، إذ ليس المرادً هنا هو الإخبار باللعنة، وإنما المراد هنا هو طلب اللعنة والدعاء على أعدائه بها، فهو بمعنى فعل الأمر " اِلْعَنْ "، وإنما عبر أبو محجن عن الأمر هنا بصيغة الماضي الدالة على تحقق الوقوع لإظهار الحرص والرغبة في تحقق وحصول اللعنة لأعدائه، وفي هذا إشعار بأن الدعاء على المخاطب قد حصل وتحقق، وكأن اللعنة على أعداء أبي محجن قد حدثت وحصلت بالفعل ثم أخبر عنها، هذا بالإضافة إلى بيان ما عليه نفس أبي محجن من كثرة الرغبة في تحقق المطلوب وشدة تعلق نفسه به، حتى تخيلت غير الواقع واقعًا، يقول البلاغيون : " إن النفس إذا عظمت رغبتها في شيء

(١) علوم البلاغة / ١٣٣، دلالات التراكيب / ٢٦٦ / د / محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / الطبعة الثانية / ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م، علم المعاني ٢ / ١٢٧ / د / بسيوني فيود .
(٢) الرَّدَى: الهلاك، يقال: رَدِيَ يَرْدَى رَدَىً: هلك، ويقال: أَرْدَى فلان فلانًا: أهلكه . لسان العرب، المعجم الوسيط / مادة: ردي .
(٣) ديوان أبي محجن / ٤٠ (الطويل) .

تخيلت غير الواقع واقعًا، وبنت الكلام على هذا التخيل، وأجرته على نسجه "[1]، وكأن التعبير بالماضي عن المستقبل تجاوز الزمن وطواه[2].

ويقول العقاد : " وفي بقائه - أي فعل الأمر - على صيغة الماضي ما يشعر بقوة الأمل في الاستجابة، كأن ما يرجى أن يكون قد كان، وأصبح من المحقق المستجاب "[3] .

ويقول د / إبراهيم أنيس " في أسلوب التأكيد يحسن أن نستعمل صيغة الماضي في الأحداث المستقبلة "[4] .

وأتى قبل الفعل " لعن " بأداة التنبيه " ألا " ؛ لاستفتاح الكلام وجذب وتنبيه المخاطب لما سيأتي بعدها نظرًا لأهميته، فإذا أتى ما بعدها والنفس يقظة منتبهة وعته وتمكن منها فضل تمكن .

وأما الموضع الثاني ففي قوله في صاحبتيه وحبيبتيه بعد أن فارقتاه :

هُما سَقَتانِي السُّمَّ يَوْمَ تَوَلَّتا

جَزانِي إِلَـهِي عَنْهُما وجَـزاهُما[5]

فأبو محجن يعتبر لحظة فراق صاحبتيه لما فيها من ألم تشبه لحظة من تجرَّع السُّمّ وأوشك على الموت، ثم دعا الله أن يجزيه عنهما ويجزيهما عنه حسن الجزاء .

وأتى أبو محجن بالفعل " جزى " بلفظ الماضي، وهو بمعنى الأمر ؛ لإظهار حرصه ورغبته في تحقق هذا الجزاء، وشدة تعلق قلبه به، فجعل ما يطلب حصوله كأنه قد حصل، وما يرجى أن يكون قد كان، وأصبح محققًا مستجابًا، وكأن هذا الفعل قد طوى الزمن وتجاوزه، وجعل غير الواقع واقعًا، وهكذا يكون شأن المحبين والعاشقين .

---

(١) دلالات التراكيب / ٢٦٦، ٢٦٧، وينظر: من أسرار اللغة / ١٧٣ / د / إبراهيم أنيس / مكتبة الأنجلو المصرية / الطبعة السابعة / ١٩٨٥م .
(٢) خصائص التراكيب / ٢٦٧ .
(٣) اللغة الشاعرة / ٩١ / عباس محمود العقاد / مكتبة غريب / بدون تاريخ .
(٤) من أسرار اللغة / ١٧٣ .
(٥) ديوان أبي محجن / ٥٢ (الطويل) .

المبحث الثاني : الفعل المضارع في ديوان أبي محجن :

من المعلوم أن الفعل المضارع هو ما دل على زمن وحدث يقع في الحال أو الاستقبال، والذي يحدد ذلك هو السياق والقرينة سواء كانت هذه القرينة لفظية أو معنوية، وهو شائع في الاستعمال في الأساليب العربية، وكثير الدوران على ألسنة الناطقين بها، ومتعدد المعاني، ومختلف الدلالات، ومتنوع الأحكام .

ولقد ورد الفعل المضارع في ديوان أبي محجن بنسبة كبيرة وملحوظة وإن كانت أقل من نسبة ورود الفعل الماضي، فقد ورد خمسًا وتسعين مرة، أي بنسبة ٤٠,٤٢ % . وجاء ذلك بأساليب متنوعة، وفي سياقات مختلفة حسب مقتضيات السياق واختلاف الأحوال .

١ـ الفعل المضارع واستحضار الصورة :

من أهم الفوائد التي يفيدها التعبير بالفعل المضارع استحضار الصورة الماضية وجعلها ماثلة ومشاهدة أمام المخاطب، يقول د / محمد أبو موسى : " ومن هنا كانت صورته - أي المضارع - أقدر الصيغ على تصوير الأحداث ؛ لأنها تحضر مشهد حدوثها، وكأن العين تراها وهي تقع، ولهذا الفعل مواقع جاذبة في كثير من الأساليب حين يقصد به إلى ذلك، وترى المتكلمين من ذوي الخبرة بأسرار الكلمات يعبرون به عن الأحداث الهامة التي يريدون إبرازها وتقريرها في خيال السامع " (١).

وقد استخدم أبو محجن ذلك الأسلوب في بعض المواضع من ديوانه، ومن ذلك قوله مُدِلًّا ومفتخرًا بشجاعته في محاربة أعدائه :

(١) خصائص التراكيب / ٢٤٦ .

أُعْطِي السِّنانَ[1] غَداةَ[2] الرَّوْعِ نِحْلَتَهُ[3]

وعامِلُ الرُّمْحِ[4] أَرْوِيْهِ مِنْ العَلَقِ[5]

وَأَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ[6] عَنْ عُرُضٍ[7]

تَنْفِي المَسابِيْرَ[8] بالإِزْبادِ[9] وَالفَهَقِ[10][11]

فأبو محجن يفتخر بشجاعته، ويتيه ببسالته، ويزهو بإقدامه وجرأته، فقد أعطى
كل سلاحه حقه بحسن استخدامه له، وجودة الطعن به، وسقى عامل رمحه من دم أعدائه بالمبالغة والإغراق في قتالهم، وطعنهم طعنات واسعة عميقة تنفي الميل الذي يقدر به الجراحات من كثرة عمقها وسعتها وما فيها من دم كثير نتيجة قوة الطعن والإفراط في مقاتلة الأعداء .

وجاء بالأفعال (أعطي) و (أروي) و (أطعن) و (تنفي) بصيغة المضارع لاستحضار صورة هذه الأحداث العجيبة البديعة ماثلة ومشاهدة أمام المتلقي كأنه يراها تحدث أمامه، ويتأملها ويبصر ما فيها

(١) السِّنان: حديدة الرمح لصقالتها وملاستها، والجمع أسنة . لسان العرب / مادة: سنن .
(٢) الغداة: ما بين طلوع الفجر وغروب الشمس ، والجمع غَدَوَات . السابق / مادة: غدو .
(٣) النِّحْلَة: العَطِيَّة ، أو العطاء بلا عوض . السابق ، القاموس المحيط / مادة: نحل .
(٤) عامل الرمح ، وعاملته: صدره دون السنان ، وهي على قدر ذراع من السنان ، والجمع عوامل . لسان العرب / مادة: عمل .
(٥) العَلَق: الدم ما كان ، وقيل: هو الدم الجامد الغليظ ، وقيل: الجامد قبل أن ييبس ، وقيل هو ما اشتدت حمرته . السابق / مادة: علق .
(٦) الطَّعنة النَّجلاء: الواسعة الشَّق و البَيِّنة ، يقال: نَحَلَه بالرمح يَنْحَلَه نَحْلًا: طعنه وأَوْسَعَ شَقَّه ، وسنان مِنْجَل: واسع الجُرْح . لسان العرب /: مادة: نجل .
(٧) عُرُض الشيء: جانبه وناحيته . السابق / مادة: عرض .
(٨) المسابير: جمع مسبار ، وهو الميل الذي تُقَدَّر به الجراحات ليُعْرَف عَوْرها ، يقال: سبر الجُرْح سَبْرًا: نظر مقداره . السابق / مادة: سبر .
(٩) الإِزْباد: ما يخرج من الجرح، وزَبَدُ الجمل الهائج: لُغامه الأبيض الذي تتلطخ به مشافره إذا هاج ، وبحر مُزْبِد: مائج يقذف بالزَّبَد . السابق / مادة: زبد .
(١٠) الفَهَق: كثرة الدم، وواد فَيْهَق: كثير الماء، والفَهَق: الامتلاء . السابق / مادة: فهق .
(١١) ديوان أبي محجن / ٢٦، ٢٧ (البسيط) .

من عجب وغرابة، وبهذا يكون تأثيرها في النفوس أشد، ووقعها عليها أقوى .

يقول د / محمد أبو موسى : " الفعل المضارع يجعل المعنى حاضرًا بين يديك، وكأن الأفعال المضارعة في الكلام الحر مرايا تعكس لك الصورة والأحداث، فلا تسمعها بأذنك فقط، وإنما تراها بعينك أيضًا"(١).

ويقول ابن الأثير : " واعلم أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك " (٢) .

والتعبير بـ (أروي) بدلًا من (أسقي) لدلالة الإرواء على المبالغة والشدة في الطعن ؛ لأن السقي يحصل بمجرد وضع الماء في الكف أو صبه في الحلق، والإرواء لا يحصل إلا بعد شربه بقدر الري ؛ ولهذا صح أن يقال سقاه فما أرواه .

وقوله حينما نظر إلى القوم وقد توقعوا يوم القادسية، ووجد أن المسلمين قد أخذوا ينهزمون :

كَفَى حَزَنًا أَنْ تُطْعَنَ الخَيْلُ بالقَنا (٣)

وأُصْبِحَ مَشْدُوْدًا عَلَيَّ وَثاقِيا (٤)

فأبو محجن يخبر هنا عن حاله حينما رأى القوم بدأوا ينهزمون، فقد أخذ يحزن ويتحسر على طعن الخيل بالرماح وقد أصبح مشدودًا عليه وثاقه، وكيف لا يتحسر ويحزن وهو من الأبطال الشجعان الذين لهم باع كبير في المعارك، وصولات وجولات في الحروب ؟

(١) قراءة في الأدب القديم / ٣٢ / د / محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / الطبعة الثالثة / ٢٠٠٦ م .
(٢) المثل السائر ٢ / ١٢ / لابن الأثير / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م .
(٣) القنا: جمع قناة، وهي الرمح، وتجمع على قنا وقنوات . لسان العرب، القاموس المحيط / مادة: قنو .
(٤) ديوان أبي محجن / ٤٣ (الطويل) .

وجاء التعبير بالفعل المضارع (تطعن) لاستحضار صورة طعن الخيل و نقلها للمتلقي ماثلة أمام ناظريه، كأنه يشاهدها تحدث أمام عينيه، ولا يخفى ما في طعن الخيل بالقنا وهزيمة القوم أمام عينيه وهو مقيد في سجنه من غرابة ودهشة وعجب .

وكذلك عبر أبو محجن بالفعل المضارع في قوله (أصبح مشدودًا علي وثاقيا) لاستحضار صورة حالته وقد شُدَّ عليه الوثاق، وأُلْقِيَ به في الحبس، وهو من هو في شجاعته وبسالته، وهي صورة عجيبة وبديعة، فهو يريد أن ينقل للقارئ ويريه صورته التي كان عليها وقت احتدام المعركة واشتدادها .

وقوله بعد أن وفقه الله - سبحانه وتعالى - للتوبة والإقلاع عن شرب الخمر :

إِنْ كانَتْ الخَمْرُ قَدْ عَزَّتْ وقَدْ مُنِعَتْ
وحالَ مِنْ دُوْنِها الإِسْلامُ والحَرَجُ
فَقَدْ أُباكِرُها رِيًّا وأَشْرَبُـها
صِرْفًـا وأَطْـرَبُ أَحْيـانًا فَأَمْتَـزِجُ[1]
وقَدْ تَقُوْمُ عَلَى رَأْسِي مُغَنِّيةٌ
فِيْها إِذا رَفَعَتْ مِنْ صَوْتِها غُـنُـجُ[2]
تُرَفِّعُ الصَّوْتَ أَحْيانًا وتَخْفِضُه
كما يَطِنُّ[3] **ذُبابُ الرَّوْضَةِ الهَزِجُ**[4][5]

فأبو محجن يصف لنا حاله مع الخمر بعد أن أقلع عنها، فيذكر أن الخمر إن كانت قد عزّت عليه، ومنعت منه، وحال بينه وبينها الإسلام

(١) البحث صـ ١٢ .
(٢) الغُنُج: الملاحة والتَّكَسُّر وحُسْن الدَّلّ ، والمرأة الغَنِجَة: حَسَنَة الدَّلّ . لسان العرب / مادة: غنج .
(٣) يَطِنّ: يُصَوِّت، والطَّنِيْن: صوت الذباب ، يقال: طَنَّ يَطِنّ طَنًّا وطَنِيْنًا: أي صَوَّت . السابق / مادة طنن .
(٤) الهَزِج: المُتَرنِّم، والهَزَج: صوت الزجاج . السابق / مادة: هزج .
(٥) ديوان أبي محجن / ٤٧ (البسيط) .

والحرج فقد كان يباكرها ريًّا، ويشربها صِرْفًا غير مخلوطة بشيء أحيانًا، ويشربها ممزوجة بغيرها أحيانًا أخرى، وحينما كان يشربها كانت تقوم على رأسه مُغَنِّية في صوتها رخم وترنم، وكانت هذه المغنية تُرَفِّع الصوت أحيانًا، وتخفضه أحيانًا أخرى كما يفعل ذباب الروضة المترنم، ولعل هذا يدلنا على أن أبي محجن عاش نشأته الأولى في حياة اللهو والمتعة وارتياد مجالس الخمر والغناء .

وجاء بالأفعال " أباكر " و " أشرب " و " أطرب " و " أمتزج " و" تقوم " و" تُرَفِّع " و " تخفض " و " يطن " بصيغة المضارع ؛ لاستحضار صورة هذه الأحداث العجيبة البديعة الغريبة، ونقلها أمام المتلقي ماثلة مشاهدة كأنها تحدث أمام ناظريه ، وكأنه يراها ويشاهدها تحدث الآن، يقول أبو هلال العسكري : " وجاء بلفظ المستقبل وهو يريد الماضي"[1] .

وذكر أبو محجن أنه باكر الخمر، وشربها صِرْفًا، وربما طرب فمزجها، وكان ينبغي أن يقول : إنه شربها ممزوجة، وربما طرب فشربها صِرْفًا، ولكنه أراد أنه إذا طرب مزجها ؛ لئلا تدخله في السُّكْر[2] .

والواو في قوله : " قد عزَّت وقد مُنِعَت " للترقي ؛ لأن عزازة الشيء تعني قلته حتى كاد لا يوجد، أما المنع فيعني عدم الوجود كلية بأي حال من الأحوال .

وتشبيه أبي محجن غناء المغنية بصوت الذباب تشبيه رديء ومعيب وغير ملائم ولا مطابق لمقتضى الحال ؛ لأن جودة التشبيه في حالة المدح والتزيين تقتضي أن يشبه طنين الذباب بغناء المغنية وليس العكس، وإلا فأي قَيْنة تحب أن يشبه صوتها بصوت الذباب [3] .

---

(١) شرح ديوان أبي محجن / ٤٧ .
(٢) شرح ديوان أبي محجن / ٤٦، ٤٧ .
(٣) العمدة ١ / ٣٠٢ / لابن رشيق / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الجيل / بيروت / لبنان / الطبعة الخامسة / ١٤٠١هـ ١٩٨١م، مستتبعات التراكيب / ١٢٨ / د / عبد الغني محمد بركة / دار الطباعة المحمدية / الطبعة الأولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، أفنان البيان / ١٤٤ / د / الشحات أبو ستيت / مطبعة التركي / طنطا / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

وقوله في عوف بن مالك حينما استعمله على قومه وعلى من أسلم من القبائل المنتشرة حول الطائف فكان يقاتل بهم ثقيفًا :

هـابَتْ الأَعْـداءُ جـانِبَنا

ثـــُمَّ تَغْـزُوْنـا بَنُـو سَـلِمَهْ(١)

فعبر أبو محجن أولًا بالفعل الماضي " هاب "، وذكر أن الأعداء هابتهم، وكان ظاهر السياق أن يستمر التعبير بصيغة الماضي، ولكنه غاير في التعبير فأتى بالفعل " تغزو " بصيغة المضارع بعد الماضي " هاب " ؛ لاستحضار هذه الصورة الغريبة البديعة، وبيان أن غزو بني سليم لثقيف أمر غريب لم يكن متوقعًا، وما كان ينبغي أن يكون، وكيف يكون، أو حتى يتوقع أن يكون وبنو ثقيف هم الشجعان الأبطال المغاوير وأولو النقمة والبأس ؟

وقوله مفتخرًا في إحدى قصائده التي تصور فروسيته هو وقومه :

لَمَّا الْتَقَيْنا مـاتَ الْكَلَامُ وَدَا

رَالْمَوْتُ دَوْرَ الرَّحَى على الْقُطُبِ(٢)

فَكُلُّنا يَسْتَلِيْصُ(٣) **صَـاحِبَهُ**

عَـنْ نَفْسِهِ والنُّفُوْسُ في كُـرَبِ(٤)(٥)

فأبو محجن يصور لنا وهو مغتر بفروسيته هو وقومه صورة المعركة التي دارت رحاها بين قومه وقوم آخرين حينما صمتت الألسنة، وخطبت السيوف على الرؤوس والأعناق، وأخذ كل واحد يستليص صاحبه ويخادعه ؛ ليفتك به، ويوقع به شرّ العذاب .

---

(١) البحث صـ ١٥ .
(٢) البحث صـ ٢١ .
(٣) يستليص: يراود ويخادع، يقال: لاوص فلان فلانًا عن كذا: خادعه، وفلان ملاوص: متملق خداع، ولاوص: نظر كأنه يختلا ؛ ليروم أمرًا، ولاوص الشجرة: نظر يَمْنة ويَسْرة كيف يقطعها . أساس البلاغة، القاموس المحيط / مادة: لوص .
(٤) كُرَب: جمع كُرْبة، وهي حُزْن يأخذ ب النفس، والكرب الحُزْن والغَمّ، ورجل مكروب وكريب: اعتراه كَرْب . السابق / مادة: كرب .
(٥) ديوان أبي محجن / ٥٧ (المنسرح) .

وعبر بالفعل " يستليص " بصيغة المضارع، وخالف في التعبير بين هذا البيت والبيت السابق، حيث عبر في البيت السابق بالماضي وعبر هنا بالمضارع ؛ لينقل صورة الحدث أمام المخاطب كأنه يشاهدها تحدث أمامه ؛ لما في هذه الصورة من دهشة وغرابة، وكذلك لشدة إحساس أبي محجن بها، حتى أصبح يريد أن ينقلها بصورتها للمتلقي حَيّة ماثلة أمامه .

٢ـ الفعل المضارع ودلالة التجدد [١] والحدوث :

يدل الفعل المضارع بأصل وضعه على تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن، وقد يستفاد من التعبير بالفعل المضارع بحسب المقام وبمعونة القرائن التي تستفاد من السياق والأحوال لا بأصل الوضع التجدد الاستمراري شيئًا فشيئًا، وحالًا بعد حال، وآنًا بعد آن [٢] .

يقول عبد القاهر الجرجاني : " إن موضوع الاسم على أن يُثْبَت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئًا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء، فإذا قلت : زيد منطلق . فقد أثبت الانطلاق فعلًا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئًا فشيئًا . بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك : زيد طويل وعمرو قصير . فكما لا تقصد ها هنا أن تجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث بـل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك : زيد منطلق . لأكثر من إثباته لزيد وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت : زيد ها هو ذا

(١) للتجدد معنيان: ١- حصول الشيء بعد أن لم يكن، وذلك معتبر في مفهوم الفعل ٢- حصول الشيء شيئًا فشيئًا على وجه الاستمرار، وهذا لازم للزمان . بغية الإيضاح ١ / ١٣٩ ،١٤٠ / لعبد المتعال الصعيدي / مكتبة الآداب / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

(٢) الإيضاح مع البغية ١ / ١٣٩ / والإيضاح مطبوع مع بغية الإيضاح بأعلى الصفحة، علوم البلاغة / ٥٥، ٥٦، جواهر البلاغة / ٦٦ ، علم المعاني ١ / ١٦٥ / د / بسيوني فيود، علم المعاني / ٤٩ / د / عبد العزيز عتيق / دار النهضة العربية / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .

المنطلق . فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءًا فجزءًا وجعلته يزاوله ويزجِّيه " [١] .

يقول د / محمد أبو موسى : " فصيغة الاسم تدل على الثبوت من غير إفادة التجدد، وصيغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد، فقولك : زيد منطلق، كقولك : زيد طويل من حيث دلالته على أنه طويل من غير أن يشعر بتجدد الطول وحدوثه، وقولك : زيد ينطلق، كقولك : زيد يطول من حيث دلالته على حدوث الانطلاق وتجدده، وهذا إنما يصح إذا كان زيد غلامًا لم يستقر طوله " [٢] .

ومن هذا القبيل قول أبي محجن مفتخرًا بجوده وكرمه :

وقد أجودُ وما مالي بذي فَنَعٍ [٣]

وقد أَكُرُّ وراءَ المُحْجَرِ [٤] البَرِقِ

وأَهْجُرُ الفِعْلَ ذا حُوْبٍ [٥] ومَنْقَصَةٍ

وأَتْرُكَ القَوْلَ يُدْنِيْني من الرَّهَقِ [٦][٧]

فذكر أبو محجن أنه يجود وماله قليل، وهذا من أفضل الجود، بخلاف ما يظنه بعض الناس أن الكرم لا يكون إلا في حالة الغنى وكثرة المال، ولله در القائل :

---

(١) دلائل الإعجاز / ١٧٤ / لعبد القاهر الجرجاني/ تحقيق: محمود محمد شاكر / مكتبة الخانجي/ القاهرة / الطبعة الخامسة / ٢٠٠٤هـ

(٢) خصائص التراكيب / ٢٩٦، ٢٩٧ .

(٣) الفَنَع: زيادة المال وكثرته، ومال ذو فنع أي كثير . لسان العرب / مادة: فنع .

(٤) المُحْجَر: المُضَيَّق عليه في الحرب، وأصله من الحَجْر، يقال: أَحْجَرَه الشيء: ضَيَّق عليه . السابق، المعجم الوسيط/ مادة: حجر .

(٥) الحوب - بضم الحاء وفتحها -: الإثْم والحُزْن والهلاك، يقال: حاب يَحُوْبُ حَوْبًا: أَثِمَ، والحَوْبة الهلاك . لسان العرب / مادة: حوب .

(٦) الرَّهَق: العيب والسَّفَه والحِدَّة والشدة والسرعة إلى الشر، يقال: هو رَهِق: فيه حِدَّة وسَفَه وحُمْق . السابق / مادة: رهق .

(٧) ديوان أبي محجن / ٢٩، ٣٠ (البسيط) .

لَيْسَ العَطاءُ من الفُضُولِ سَماحَةً

حَتَّى تَجُودَ ومـا لَدَيْـكَ قَلِيْلُ(١)

وذكر أيضًا أنه يكر بسيفه وراء المضيق عليه في الحرب الشاخص البصر الفزع، فنوّه هنا بجوده رغم قلة ماله، وألمح إلي شجاعته وبسالته .

وذكر كذلك أنه يترك الفعل الذي يلحقه من جَرَّائه الإثم والهلاك والعيب، ويدع القول الذي يُقَرِّبُه من السفه والحُمْق والحِدَّة، فضلًا عن أن يوقعه في ذلك .

وعبر بالمضارع " أجود " للدلالة على التجدد الاستمراري ؛ لأن جود الكرماء متكرر حدوثه ومستمر، ومما دل على التجدد الاستمراري في التعبير بالفعل المضارع هنا ورده في مقام الفخر، فجود أبي محجن متكرر ومستمر حالًا بعد حال، وآنًا بعد آن .

وعبر بالمضارع في قوله : (أكرّ) للدلالة على استحضار هذا المشهد العجيب الغريب أمام المتلقي، حتى يكون كأنه يرى هذا المشهد البديع يحدث أمامه، ويراه بعينيه، فكأن الفعل المضارع هنا مرآة عكست صورة المشهد أمام المخاطب ؛ كي يراه ماثلًا أمام ناظريه .

وكَرُّ أبي محجن وراء المحجر البرق محل نظر ؛ لأن هذا لا يدل على قوة شجاعته وعظيم بسالته، وليس هو الأليق بمقام الفخر، وإنما كان الأجود والأليق أن يقول - مثلًا - : " وقد أكر وراء الشجاع المغوار " .

وعبر بالمضارع أيضًا في الفعلين " أَهْجُر " و " أَتْرُك " للدلالة على التجدد الاستمراري، لأن مقام الفخر يقتضي أن يكون هجره الفعل القبيح الذي يوقعه في الإثم والهلاك وتركه للقول الذي يقربه من السفه والحمق والطيش أمرين متجددين مستمرين، فهو لا يهجر هذا مرة

(١) هذا البيت للمقفع الكندي . ولم أعثر له على ديوان مطبوع، وهو موجود في شرح ديوان الحماسة ٢ / ١٧٣٤ (الكامل) / للمرزوقي / تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون / دار الجيل / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١١ هـ - ١٩٩١م .

واحدة، ولا يترك ذاك مرة واحدة أيضًا، وإنما يكون هجره أمرًا متجددًا مستمرًا، وكذلك تركه يكون أمرًا متجددًا مستمرًا أيضًا .

وقوله بعد أن ترك شرب الخمر وتاب منها :

سَأَتْرُكُها مَذْمُوْمَة لا أَذُوْقُها

وَإِنْ رَغِمَتْ[١] فيها أُنُوفُ حَوَاسِدِي[٢]

فذكر أبو محجن أنه سيترك الخمر ويذمها ولا يقربها، وإن رغمت أنوف حواسده بسبب تركه لها، إذ " كان حواسده إذا شرب قَرَّت عيونهم ؛ لأنه كان يسقط بذلك عند المسلمين، فلما ترك شربها رَغِمَتْ أنوفهم ؛ لأنه عَزّ بتركه عندهم " [٣] .

وعبر بالمضارع في قوله : " سأتركها " و " لا أذوقها " للدلالة على التجدد الاستمراري، فهو لا يترك شرب الخمر ولا ذوقها مرة واحدة، وإنما يقصد تجدد واستمرار تركها وترك ذوقها طيلة حياته، فكلما وسوس إليه الشيطان بشربها أو زينها له أحد ندمائه تركها، وإن ذلت أنوف حواسده، وفي ذلك دلالة على شدة كراهية نفسه لها وعزوفه عنها .

وقوله في شأن تركه الخمر وتوبته أيضًا :

سَـأَتْرُكُها لِلَّـهِ ثُـمَّ أَذُمُّـها

وأَهْجُرُها في بَيْتِها حَيْثُ تُشْرَبُ[٤]

فقد ذكر عزمه على تركها وذمها وهجرها في أماكن شربها أينما توجد، وحيثما تشرب .

واستخدم الأفعال " أترك " و " أذم " و " أهجر " و " تشرب " بصيغة المضارع للدلالة على التجدد الاستمراري ؛ لأن تركه لشرب

---

(١) رَغِمَتْ: ذَلَّتْ وهانت عن كره، والرُّغْم: الذِّلَّة، ويقال: أَرْغَمَ اللهُ أنف فلان: أي ألزقه بالرَّغام، وهو التراب، هذا هو الأصل، ثم اسْتُعْمِلَ في الذلّ والعجز عن الانتصاف والانقياد عن كُرْه . لسان العرب، القاموس المحيط / مادة: رغم .

(٢) ديوان أبي محجن / ٤٢ (الطويل) .

(٣) شرح ديوان أبي محجن / ٤٢ .

(٤) ديوان أبي محجن / ٤٦ (الطويل) .

الخمر، وذمه لها، وهجره إياها حيثما تشرب، كل ذلك يكون متجددًا باستمرار ؛ لكي تكون توبته صادقة، وأوبته خالصة، وكيف لا، وهي توبة صحابي فارس ؟

وقوله في شأن تركه الخمر كذلك :

فلا - واللَهِ - أَشْرَبُها حَياتي

ولا أَشْفِي بها أَبَدًا [٢] سَقِيْمًا [٣]

فأقسم أبو محجن أنه لا يشرب الخمر مدة حياته، ولا يشفي بها أبدًا سقيمًا ظنًّا منه أنها تشفي سقم شاربها .

وعبر بالمضارع في الفعلين " أشرب " و " أشفي " للدلالة على التجدد الاستمراري، وقرينة ذلك قوله : " حياتي " - أي طيلة عمري - بعد الفعل الأول، وقوله : (أبدًا) بعد الفعل الثاني، فمهما كان الدافع الذي سيوجد أمامه، ويزين له الخمر فلن يستجيب له، وذلك على الاستمرار والأبد .

وقوله مفتخرًا بشجاعته وكرمه :

وأَمْنَعُ جارَ البَيْتِ مِمّا يَنُوْبُهُ [٤]

وأُكْرِمُ أَضْيافًا قِراها طُرُوْقُها [٥][٦]

يفتخر أبو محجن هنا بشجاعته ومروءته وحمايته لجاره مما ينزل به ويصيبه من نوائب الزمان ونوازل الدهر، ويفتخر أيضًا بإكرامه الضِّيْفان الذين كان طُرُوْقُهُم سببًا في إكرامهم .

---

(٢) أبدًا: ظرف زمان للمستقبل يستعمل مع الإثبات والنفي، ويدل على الاستمرار . المعجم الوسيط / مادة: أبد، وذكر الراغب الأصفهاني أنها " مُدَّة الزمن الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان . المفردات في غريب القرآن / ٥٩ / تحقيق: صفوان عدنان الداودي / دار القلم / دمشق، الدار الشامية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٢ هـ .

(٣) ديوان أبي محجن / ٦٢ (الوافر).

(٤) ينوبه: يصيبه، يقال: ناب الأمرُ فلانًا نَوْبًا ونَوْبَةً: نزل به وأصابه، ومنه النائبة: وهي ما يصيب الإنسان من الحوادث والمصائب والنوازل . لسان العرب / مادة: نوب .

(٥) قِراها طُرُوْقُها: طَعْمُها . والمعنى: إذا طَرَقَتْنا الضِّيْفان لَيْلًا أَعْجَلْنا لها القِرَى، فكأن طروقها هو الذي قَراها . خزانة الأدب ٨ / ٤٠٧.

(٦) ديوان أبي محجن / ٥٣ (الطويل) .

واستخدم التعبير بالمضارع في الفعلين " أَمْنَعُ " و " أُكْرِمُ " للدلالة على التجدد الاستمراري، ودل على ذلك ورودهما في سياق أسلوب الفخر، حيث إن الفخر العظيم القوي يقتضي أن يكون منعه جاره وحمايته مما يصيبه، وإكرامه الضِّيْفان أمرين متجددين باستمرار، فهو لم يحم جاره مرة واحدة، ولم يكرم الضِّيْفان مرة واحدة فقط، وإنما ذلك متجدد منه باستمرار ؛ لأنه ديدنه وعادته، وهذا هو الأليق بمقام الفخر.

٣ـ الفعل المضارع في سياق النفي :

لقد ورد الفعل المضارع عند أبي محجن منفيًا، وتنوعت في ذلك أدوات النفي، فتارة يكون منفيًا بـ " لم "، و تارة بـ " لا "، وتارة بـ " ما "، كل ذلك حسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه السياق، ويستدعيه الحال ؛ لأن لكل أداة من هذه الأدوات موضعًا في الاستخدام، وخاصية في الاستعمال، ومزية في التعبير، وهذا ما يتضح ويتجلى لنا على النحو التالي :

أـ الفعل المضارع المنفي بـ " لم " :

تعد " لم " من أدوات النفي التي تختص بنفي معنى الفعل المضارع، وتقلب زمانه من الحاضر إلى الماضي ؛ " لأنها جواب من قال : " فَعَلَ "، إذ هي نظيرها، فكأنك قلت مجاوبًا، فلم يَفْعَلْ ما فَعَلَ، فهي من القرائن الصارفة الأفعال المضارعة إلى معنى الماضي " [١] .

ورأى د / إبراهيم أنيس أن النفي بـ (لم) آكد من النفي بـ (ما) ؛ لأن (ما) تحتاج إلى قسم لتوكيد نفيها بخلاف (لم)، والنفي بـ (ما) الذي يحتاج في توكيده إلى القسم أضعف من النفي بـ (لم) التي لا تكون جوابًا للقسم [٢] .

ولا يلزم في المنفي بها أن يكون متصلًا بالحال، بل قد يكون متصلًا وقد يكون منقطًا [٣] .

ولقد ورد الفعل المضارع منفيًا بـ (لم) في ديوان أبي محجن تسع مرات، ومن ذلك قوله في ذمه الخمر وتوبته منها :

(١) الكتاب ٣ / ١١٧، رصف المباني / ٢٦٨ .
(٢) من أسرار اللغة / ١٨٥ ، ١٨٦ .
(٣) الجنى الداني / ٢٦٨ .

أَتُوْبُ إِلَى اللهِ الرَّحِيْمِ ؛ فَإِنَّهُ

غَفُوْرٌ لِذَنْبِ الْمَرْءِ ما لَمْ يُعاوِدِ[1]

فأبو محجن يتوب من الخمر إلى الله التوّاب الرحيم توبة نصوحًا صادقة، وكله رجاء في قبول الله توبته، ومغفرته لذنوبه، وتجاوزه عن سيئاته .

وجاء أبو محجن بالفعل المضارع " يعاود " منفيًا بـ (لم) ؛ لأن عزم المؤمن على عدم معاودة الذنب مرة أخرى لابد أن يكون موصولًا بالحال، هذا بالإضافة إلى أن النفي بها أقوى و آكد من النفي بـ (ما) ؛ لأنها لا تحتاج إلى قسم لتوكيد نفيها، بخلاف (ما) التي تحتاج إلى قسم لتوكيد نفيها، ومن المعلوم أن العزم على عدم معاودة الذنب من الأمور التي تحتاج إلى توكيد .

ويقول أبو هلال العسكري : " ليس لقوله : " ما لم يعاود " معنى يصح ؛ لأنه إن عاود وتاب غفر الله له، والمعاودة في ذلك كالابتداء"[2].

ولعل لقول أبي محجن : " ما لم يعاود " وجه آخر غير ما فهمه أبو هلال، وكأن المعنى الذي يقصده أبو محجن تقديره : ما لم يعاود الذنب مرة أخرى دون أن يعيد التوبة .

وقوله بعد أن حده عمر بن الخطاب في شربه الخمر هو وجماعة معه :

صَبَرْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ ولَمْ أَكُ طائِعًا

لِحادِثِ دَهْرٍ في الحُكُوْمةِ جائِرِ[3]

فأبو محجن بعد أن شرب الخمر هو وجماعته أقام عليه هو ومن كان معه عمرُ الحد، ولكنه رغم إقامة الحد عليه كان يصبر ويتجلد على

(١) ديوان أبي محجن / ٤١ (الطويل) .
(٢) شرح ديوان أبي محجن / ٤١ .
(٣) ديوان أبي محجن / ٥٩ (الطويل) .

شرب الخمر، ولم يجزع لإقامة الحد عليه، ولم يكن طائعًا لأوامر الإسلام، بل كان يحسب أن هذا الحادث جائر الحكم عليه .

ولعل أبا محجن استخدم أداة النفي " لم " في نفي الفعلين المضارعين " أجزع " و " أك " ؛ لأن نفيهما يحتاج لأن يكون مؤكدًا، وذلك لورودهما في مقام الفخر بالصبر على نوائب الدهر، والتجلد والمثابرة على نوازل الزمان .

وقوله مفتخرًا بشجاعة قومه :

إنْ حَمَلوا لم نَرِمْ مواضعنا

وإن حَمَلْنا جَثَوا على الرُّكَبِ(١)

فأراد أبو محجن أن ينفي عن قومه الفرار أو الذهاب والابتعاد عن أماكنهم ؛ ولذا فقد سلط على الفعل " نَرِمْ " أداة النفي " لم " ؛ لإفادة توكيد المنفي بها، فقومه لا يبرحون أماكنهم، ولا يفرون أمام أعدائهم مهما كان الأمر، وأيًا كانت قوة أعدائهم، وفي ذلك دلالة على عظم شجاعتهم، وشدة بسالتهم، وقوة ثباتهم، وتجلدهم أمام أعدائهم .

ب ـ الفعل المضارع المنفي بـ (لا) :

تعد أداة النفي " لا " من الأدوات التي تدخل على الأسماء والأفعال، لكنها إذا دخلت على الفعل فالغالب أن يكون مضارعًا، وذهب كثير من اللغويين إلى أنها تخلصه للاستقبال (٢) .

ويؤكد ذلك قول المالقي عنها : " فأما القسم الداخل على الأفعال فلا تدخل عليها غالبًا إلا مضارعة فتخلصها للاستقبال، نحو قولك : لا يقوم زيد، ولا يقوم عمرو، وكأنها جواب سيقوم أو سوف يقوم " (٣) .

ولقد ورد الفعل المضارع منفيًا بـ " لا " في ديوان أبي محجن خمس مرات، ومن ذلك قوله في توبته من الخمر وذمه لها :

---

(١) البحث صـ ١٧ .

(٢) الجنى الداني / ٢٩٦، الفعل المضارع في ضوء أساليب القرآن / ٦١ / د / عبد الله الحسيني هلال / مطبعة السعادة / الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، بناء الجملة العربية / ٢٨٦.

(٣) رصف المباني / ٣٣٠ .

سَأتْرُكُها مَذْمُوْمَةً لا أَذُوقُها

وَإِنْ رَغِمَتْ فِيْها أُنُوفُ حَوَاسِدِي (٢)

فأبو محجن يعلن توبته من الخمر، ويتركها مذمومة، ويعزم على عدم ذوقها مرة أخرى، وإن ذَلَّ وأُهِيْنَ عن كُرْه حواسدُه ؛ لأنه " كان حواسده إذا شرب قَرَّتْ عيونهم ؛ لأنه كان يسقط بذلك عند المسلمين، فلما ترك شربها رَغِمَتْ أُنوفهم ؛ لأنه عَزَّ بتركه عندهم " (٣) .

وأتى بالفعل المضارع " أذوق " منفيًا بـ " لا " ؛ لتخليصها إياه للاستقبال، والنفي بها يبدأ من لحظة التكلم ويمتد إلى المستقبل ويستطيل (٤)، فهو لا يذوقها في مستقبله بعد أن تاب منها، ويؤكد ذلك قوله قبل ذلك: " سأتركها "، حيث أتى بالمضارع مقترنًا بحرف التنفيس السين، وهي من الحروف التي تخلص المضارع للاستقبال أيضًا.

وعبر بالذوق وأراد الشرب، وذلك على سبيل المبالغة في الترك لها والتوبة منها ؛ لأنه إن كان لا يذوقها، فهو لا يشربها من باب أولى .
وبما أن التوبة تحتاج إلى المبادرة والمسارعة فلقد استخدم المضارع المقترن بالسين الدالة على المستقبل القريب في قوله : " سأتركها " بدلًا من سوف الدالة على المستقبل البعيد، حيث ذهب البصريون إلى أن مدة الاستقبال مع السين أضيق منها مع سوف، فزمان سوف أكثر تراخيًا من السين لزيادة حروفها، فكأنهم جعلوا زيادة الحرف دالة على زيادة المعنى " (٥)، فسوف عندهم أبلغ في التنفيس من السين (٦) .
وقوله بعد أن حده عمر - ﷺ- في شرب الخمر :

(٢) البحث صـ ٢٩ .
(٣) شرح ديوان أبي محجن / ٤٢ .
(٤) بدائع الفوائد ١ / ١٣٧ .
(٥) مغني اللبيب / لابن هشام / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، الفعل المضارع في ضوء أساليب القرآن / ٤٩ .
(٦) الجنى الداني / ٤٥٩ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَعْثُرُ بالفَتَى

ولا يَسْتَطِيْعُ المَرْءُ صَرْفَ المَقادِرِ (١)

فأبو محجن يتألم لنفسه، ويشكو حاله، بعد أن شرب الخمر، وأقام أمير المؤمنين عمر علي الحد، وذكر أن الدهر قد يعثر بالفتى، فتزل قدمه، ولا يستطيع رد الأقدار التي قضاها الله عليه .

ثم سَلَّطَ أداة النفي " لا " على المضارع " يستطيع " ؛ لتخلصه للاستقبال، فتنفيه مستقبلًا، وعبر بالمضارع في الفعلين " يعثر " و"يستطيع " ؛ للدلالة على التجدد والحدوث، فلا الدهر يكف نوائبه، ويمنع مصائبه، ولا الإنسان يستطيع صرف الأقدار، وذلك أمر متجدد ومستمر .

وقوله في شأن تركه الخمر أيضًا :

فَلا - واللَهِ - أَشْـرَبُها حَيـاتي

ولا أَشْـفِي بها أَبَــدًا سَقِيْمًا (٢)

فأبو محجن ينفي شربه الخمر طيلة حياته، وينفي كذلك أن يسقيها أحدًا أبدًا، واستخدم أداة النفي " لا " مع المضارع في موضعين: " لا أشربها " و" لا أشفي " ؛ ليخلص هذين الفعلين للاستقبال، وأكد كل موضع منهما، فأكد نفي الشرب بتكرار حرف النفي " لا " توكيدًا لفظيًا، وأكده أيضًا بالقسم " والله " المعترض بين " لا " الأولى و " لا " الثانية المؤكدة لها، وأكده كذلك بقوله : " حياتي "، أي مدة حياتي، وأكد نفي الشرب بظرف الزمان الممتد " أبدًا " الدال على الاستقبال والاستمرار .

(١) ديوان أبي محجن / ٥٩ (الطويل) .
(٢) البحث صـ ٣٠ .

ج ـ الفعل المضارع المنفي بـ " ما " :

تدخل " ما " على الأسماء والأفعال، وتستخدم لنفي الفعل المضارع الحاصل وقت التكلم، يقول سيبويه : " وأما " ما " فهي نفي لقوله : هو يفعل، إذا كان في حال الفعل، فيقول : ما يفعل " (١)، فهي تخلصه للحال، إذا لم يوجد قرينة غيرها تدل على إرادة غير الحال، ولا عمل لها في الفعل لعدم اختصاصها به (٢) .

ولقد ورد الفعل المضارع في ديوان أبي محجن منفيًا بأداة النفي "ما" في موضعين اثنين، **أما الموضع** الأول ففي قوله يرثي أبا عبيد بن مسعود بن عمرو يوم أن ضرب الفيل في خرطومه في معركة الجسر فقتله الفيل :

أَلَا لَعَنَ اللهُ الّذِيْنَ يَسُرُّهُمْ

رَدَايَ وَما يَدْرُونَ ما اللهُ فاعِلُ (٣)

فأبو محجن بعد أن دعا على الذين يسرهم هلاكه وموته باللعنة من الله نفي عنهم أن يكونوا يدرون ما الله فاعل بعد هلاكه ؛ إذ لعل الله يجعل من بقائه خيرًا، وأدخل على الفعل المضارع " يدرون " أداة النفي " ما " ؛ لأنه يريد نفي الدراية والعلم عنهم في الحال ؛ لما علمه من حالهم، وتبيّن له من أمرهم، أما المستقبل فهو لا يملك منه شيئًا، فلعلهم يدرون في المستقبل، بل لعلهم يكونون أكثر وأفضل دراية منه .

وأما الموضع الثاني ففي قوله متغزلًا في محبوبته " سمية " :

تَقُولُ ابْنَةُ الحَبْرِ (٤) اليَهُودِيِّ : ما أَرَى

" أَبــا مِحْجَنٍ " إِلَّا وِلِلْقَلْبِ ذاكِــرُ

(١) الكتاب ٤ / ٢٢١ .
(٢) رصف المباني / ٣٧٧، ٣٨٠، الجنى الداني / ٣٢٩، مغني اللبيب ١ / ٣٣٣، الفعل المضارع في ضوء أساليب القرآن / ٤٢ .
(٣) البحث صـ ٢٢ .
(٤) الحَبْر: العالِم ذميًّا كان أو مسلمًا، والجمع أَحْبار وحُبُور . لسان العرب، القاموس المحيط / مادة: حبر .

فَإِنَّ ابْنَةَ الحَبْرِ اليَهُودِيِّ تَيَّمَتْ(٢)

فُؤَادِي، فَهَلْ لِيْ مِنْ "سُمَيَّةَ" زَاجِرُ؟(٣)

فأبو محجن قد تعلق قلبه بابنة حَبْر يهوديّ تُدْعَى سمية، وذكر أنها ترى فيه محبًّا متعلِّقًا بها، وذلك أنها تعتقد قلبه ذاكرًا لحبها، وهو يؤكد أن محبوبته سمية قد ملكت شغاف قلبه، وتَيَّمَتْ فؤاده، واستولت على مشاعره، وملكت عليه أحاسيسه .

وأتى أبو محجن بأداة النفي " ما " وأدخلها على المضارع " أرى " ؛ ليخلصه للحال، فكلما رأت سمية محبوبها أبا محجن رأت قلبه ذاكرًا لها، ومتعلقًا بها، وأكد أبو محجن هذا المعنى بصياغته له في أسلوب قصر طريقه النفي والاستثناء، ومن المعلوم أن أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء لا يستخدم إلا في المعاني التي تحتاج إلى تقوية وتوكيد، يقول د / محمد أبو موسى عن القصر بالنفي والاستثناء : " وهذا هو رأس الأمر في هذا الطريق، فلا يأتي إلا في المعنى الذي يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد " (٤) .

وذكر أبو محجن محبوبته في البيت الثاني بأسلوب الإظهار، فقال : " فإن ابنة الحبر "، ثم قال : " سمية "، ولو جاء بالأسلوب على ظاهره لقال : " فإنها " و " منها "، و لكنه أظهر تلذُّذًا بذكرها، ولشدة حبه لها.

٤ـ التعبير بالمضارع في سياق النهي :

يعد أسلوب النهي أحد أساليب الإنشاء الطلبي، وهو أسلوب يطلب به الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة، وهي الفعل المضارع المقرون بـ " لا " الناهية الجازمة، وقد يستعمل النهي لغير الإلزام والوجوب، وذلك لغرض بلاغي يتطلبه السياق، ويقتضيه المقام .

---

(٢) تَيَّمَتْ: اسْتَعْبَدَتْ واستولت وذهبت بعقله، يقال: تام الهوى فلانًا تَيْمًا: استولى عليه واستعبده وذهب بعقله، وتام: عَشِقَ وتَخَلَّى من الناس، والتَّيْم: ذهاب العقل وفساده، والمُتَيَّم: المُعَبَّد المُذَلَّل . السابق / مادة: تيم .

(٣) ديوان أبي محجن / ٥١ (الطويل) .

(٤) دلالات التراكيب / ١٠٤ .

ولقد ورد أسلوب النهي في ديوان أبي محجن مرتين اثنتين، **أما المرة الأولى** ففي قوله مفتخرًا بمآثر تَدَيُّنه وخلقه :

لا تَسْأَلِي الناسَ عن مالي وكَثْرَتِه

وسائِلِي القَوْمَ عن دِيْنِي وعن خُلُقِي (١)

فأبو محجن يخاطب امرأته بألا تسأل الناس عن ماله وكثرته ؛ لأن الرجل لا يقاس فقط بماله، قَلّ ذلك أو كثر، وطلب منها أن تسأل الناس - إن أرادت السؤال - عـن تدينه، وحسن خلقه، وجميل شمائله .

وخاطب أبو محجن امرأته ؛ لأنه - كما قال أبو هلال العسكري - : " كان من عاداتهم أن يخاطبوا نساءهم في ابتداءات قصائدهم إذا حضروا، ويخاطبوا خليليهم إذا سافروا ؛ لأنه كان لا يسافر منهم أقلّ من ثلاثة " (٢) .

وقوله : " لا تسألي " نهي، لكنه ليس على سبيل الإلزام، وإنما على سبيل الالتماس ؛ لأنه من نظير لنظيره، هذا بالإضافة إلى ما فيه من معنى النصح والإرشاد والتوجيه .

وبين قوله : " لا تسألي " و " سائلي " طباق سلب، حيث إنه قد ورد بين فعلين من مادة واحدة، وهي " سأل "، والأول منهما نهي والثاني أمر، والطباق يكسو الكلام جمالًا، ويزيده رونقًا وبهاء، ويكسبه ترابطًا وماسكًا، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، وهذا الطباق يبرز لنا نهي أبي محجن امرأته عن سؤال الناس عن ماله وكثرته ؛ لأن الأَوْلَى بها ألا تسأل الناس عن ذلك، وإنما الأَوْلَى والأجدر بها أن تسأل القوم عن مدى تدينه وتمسكه بالأخلاق الحميدة والشمائل الكريمة .

وأما المرة الثانية ففي قوله في وصيته لابنه :

إذا مِتُّ فادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ

تُرَوِّيْ عِظامي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوْقُها (٣)

(١) ديوان أبي محجن / ٢٥ (البسيط) .
(٢) شرح ديوان أبي محجن / ٢٥ .
(٣) البحث صـ ١٩ .

ولا تَدْفِنَنِّي بِالفَلاةِ[1] فَإِنَّنِي

أَخَافُ إِذا مَا مِتُّ أَلَّا أَذُوْقُهَا[2]

فأبو محجن يوصي ابنه إذا مات أن يدفنه إلى أصل شجرة كَرْم تُرَوِّي عروقُها عظامَه بعد موته، وألا يدفنه في الصحراء المقفرة الخالية خشية ألا يذوق الخمر بعد الموت .

وجاء النهي في قوله : " لا تدفنني بالفلاة "، وقد خرج النهي هنا عن معناه الحقيقي - وهو الوجوب والإلزام - إلى غرض بلاغي هو الاستيصاء، وذلك بأن يدفنه ابنه بعد موته بجوار أصل شجرة الكرم ؛ لتسقي عروقُها عظامَه خمرًا، وألا يدفنه في صحراء خالية جرداء مقفرة خشية ألا يذوقها بعد موته .

ولقد رُوِيَ أن عبيد بن أبي محجن دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : أبوك الذي يقول :

إِذا مِتُّ فادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ

تُرَوِّيْ عِظامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوْقُها

ولا تَدْفِنَنِّي بِالفَلاةِ فَإِنَّنِي

أَخَافُ إِذا مَا مِتُّ أَلَّا أَذُوْقُهَا

فقال يا أمير المؤمنين لكن أبي الذي يقول :

لا تَسْأَلِي النَاسَ عن مالي وكَثْرَتِهِ

وسائِلِي القَوْمَ عن دِيْنِي وعن خُلُقِي[3]

وأنشد الأبيات إلى آخرها . فقال عبد الملك : إن كنا أسأنا لك القول ؛ فإنا لا نسيء لك العطية، وأمر له بعشرة آلاف درهم [4] .

---

(١) الفلاة: الأرض الواسعة المُقْفَرة ؛ لأنها فليت عن كل خير، أي فُطِمَت وعُزِلَت، والجمع فلًا وفَلَوات وفُلِيّ . لسان العرب/ مادة: فلو .

(٢) ديوان أبي محجن / ٥٢ (الطويل) .

(٣) البحث صـ ٣٥ .

(٤) شرح ديوان أبي محجن / ٣١، الأغاني ١٩ / ١٤ ، ١٥، خزانة الأدب ٨ / ٤١١ – ٤١٣ .

٥ـ التعبير بالمضارع المقترن بـ " قد " :

تعد " قد " من الحروف المختصة بالفعل، والملازمة له، والتي تقوم مقام الجزء منه ؛ ولذلك لا يجوز الفصل بينها وبينه إلا في الضرورة(١)

ويشترط في الفعل الداخلة عليه حينما يكون مضارعًا أن يكون مجرّدًا من الناصب والجازم وحرف التنفيس (٢).

وحينما تدخل " قد " على الفعل المضارع فإنها تفيد أحد أربعة معان: التوقع، والتقليل، والتكثير، والتحقيق (٣) .

وقد ورد الفعل المضارع مقترنًا بـ " قد " في ديوان أبي محجن ثماني مرات، وذلك حسب ما اقتضاه المقام، واستدعاه السياق، ونادى به الأسلوب، ومن ذلك قول أبي محجن مفتخرًا بنفسه :

قَدْ يعلمُ الناسُ أنَّا من سَرَاتهم

إذا سَما بَصَرُ الرِّعْدِيْدَةِ الفَرِقِ(٤)

فجاء أبو محجن بالفعل المضارع " يعلم " مقترنًا بـ " قد " ؛ لإفادة التوقع، أي أن علم المخاطبين بكون أبي محجن من سادة وكبراء القوم أمر منتظر حصوله، وذلك يكون إذا سما وشخص بصر الرعديدة الخائف الجبان .

ويحتمل أن يكون اقترانه بـ " قد " هنا لإفادة التحقيق، ويكون علم الناس بما كان من أمر أبي محجن قد تحقق وحدث بالفعل، وأخبر أبو محجن بذلك، ولعل ذلك هو الأرجح ؛ لأن ذلك هو الأنسب والأليق بمقام الفخر .

---

(١) رصف المباني / ٤٥٦، الجنى الداني / ٢٦٠ .
(٢) الجنى الداني / ٢٥٤ .
(٣) السابق / ٢٥٩ .
(٤) البحث صـ ١٨ .

وقوله مفتخرًا أيضًا :

قَدْ يُقْتِرُ[1] المَرْءُ يَوْمًا وهُوَ ذُو حَسَبٍ

وَقَدْ يَثُوبُ[2] سَـوامُ[3] العاجِزِ الحَمِقِ[4]

قَدْ يَكْثُرُ المالُ يَوْمًا بَعْدَ قِلَّتِهِ

وَيَكْتَسِي العُوْدُ بَعْدَ الجَدْبِ[5] بالوَرَقِ[6]

وقَدْ أَجُودُ وما مالي بِذِي فَنَعٍ

وقَــدْ أَكُرُّ وَرَاءَ المُــحْجَرِ البَرِقِ[7]

فذكر أبو محجن أن الإنسان ذا النسب العريق والحسب الشريف قد يدركه الفقر، ويقل ماله، وعلى العكس فقد يكثر مال الإنسان العاجز الأحمق الأبله الذي لا يحسن الرعي، ولا يجيد تدبير الأمور، وقد يكثر مال المرء يومًا بعد قلته فيصير الفقير غنيًا، كما أن العود الجَدِيْب قد يكتسي بعد الجدب بالورق، وذكر كذلك أنه قد يجود وما ماله بكثير، وقد يكر وراء المُضَيَّق عليه في الحرب الفَزِع الشاخص البصر .

وجاء أبو محجن بالأفعال الثلاثة " يُقْتِر " و " يَثُوب " و " يَكْثُر " مضارعة مقترنة بـ " قد " ؛ للدلالة على التحقيق مع التقليل، فإفقار ذي الحسب، وإكثار مال العاجز الأحمق، وإكثار المال بعد قلته أمور متحققة ولكن بقلة، إذ العكس هـو الكثير الغالب، ولكن هكذا اقتضت

---

(١) يُقْتِر: يُقِلّ ، والإقتار: الإقلال والتضييق على الإنسان في الرزق، ويقال: أَقْتَرَ اللهُ رِزْقَه: أي ضَيَّقَه وقَلَّله، وأَقْتَرَ الرجل إِقْتارًا: قَلَّ ماله . لسان العرب / مادة: قتر .

(٢) يثوب: يكثر، يقال: ثاب إليه قومه: أي نهضوا إليه وكثروا حوله، وثاب الناس: اجتمعوا وجاءوا . السابق / مادة: ثوب .

(٣) السَّوام: المال الراعي، يقال: سامت الراعية والماشية والغنم تسوم سَوْمًا: رعت حيث شاءت . السابق / مادة: سوم .

(٤) الحَمِق: الأَحْمَق، وهو قليل العقل، والحُمْق: قِلَّة العقل، يقال: حَمُقَ الرجل حُمْقًا واستحمق فَعَلَ فِعْلَ الحَمْقَى، ورجل أَحْمَق وحَمِق بمعنى واحد السابق / مادة: حمق .

(٥) الجَدْب: المَحْل، وهو نقيض الخِصْب، يقال: أَجْدَبَت البلاد: قَحِطَت، السابق / مادة: جدب .

(٦) ديوان أبي محجن / ٢٨، ٢٩ (البسيط).

(٧) البحث صـ ٢٨ .

الحكمة الإلهية ؛ لئلا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط، فدوام الحال من المحال، إذ لو كانت الأرزاق تجري فقط على ذوي الحسب والنباهة والغنى لهلك من الفقر خلق كثير، ولله در أبي تمام :

ولَوْ كانت الأَرْزاقُ تَجْرِي عَلَى الحِجا

هَلَكْنَ إِذَنْ من جَهْلِهِنَّ البَهائِمُ(١)

وفي البيت الثاني تشبيه ضمني يوضح هذا المعنى، حيث شبه أبو محجن حدوث هذه الأشياء على سبيل القلة باكتساء العود بعد الجدب بالورق، فإن العود الجَدِيْب قد يظن البعض أنه لا تنبت ولا تظهر له أوراق مرة أخرى بعد جدبه، ولكنه قد تنبت أوراقه مرة أخرى بعد جدبه بتساقطها .

وجاء أبو محجن بالفعلين المضارعين " أجود " و " أكر " مقترنين بـ " قد " أيضًا للدلالة على التكثير ؛ لأن هذا هو الذي يليق ويتناسب بمقام الفخر .

وقوله متغزلًا :

وقَدْ تَقُوْمُ عَلَى رَأْسِي مُغَنِّيةٌ

فِيْها إِذا رَفَعَتْ مِنْ صَوْتِها غُنُجُ(٢)

فأتى أبو محجن بالفعل " تقوم " بصيغة المضارع للدلالة على استحضار الصورة كأنها ماثلة مشاهدة أمام المتلقي، وجاء بهذا الفعل مقترنًا بـ " قد "، للدلالة على التحقيق مع التقليل، حيث أفاد ذلك أن أبا محجن قد كان يشرب الخمر في بعض الأحيان وعلى رأسه مغنية يوجد فيها حينما ترفع من صوتها ملاحة وحسن دلّ .

(١) ديوان أبي تمام ١ / ١٧٨ / (الطويل) بشرح الخطيب التبريزي / تحقيق: د / محمد ه عبده عزام / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الرابعة / بدون تاريخ .
(٢) البحث صـ ٢٦ .

المبحث الثالث : فعل الأمر في ديوان أبي محجن :

لقد ورد الفعل الأمر في ديوان أبي محجن بنسبة قليلة، حيث إنه قد ورد إحدى عشرة مرة، أي بنسبة ٤,٦٨% ، ولعل هذه القلة ترجع إلى أن أبا محجن قد قضى رَدَحًا من حياته منعزلًا عن الناس ومشغولًا عن حياتهم بلهوه وخمره، وذلك أشبه ما يكون بحياة الصعاليك، فلم يكن أمامه من يأمره، وإذا قيست نسبة فعل الأمر بنسبتي الفعلين : الماضي والمضارع فإن ذلك يؤكد لنا أن أبا محجن قد كان شاعرًا مطبوعًا بليغًا، حيث كان يراعي في استخدامه للفعل الأسلوب الذي يقتضيه المقام، ويستدعيه السياق، وينادي به الحال، ويحقق الغرض المقصود، ويلبي الهدف المنشود، بصرف النظر عما إذا قلّ ذلك أو كثر .

ولكن رغم هذه القلة فقد جاء مطبوعًا غير مصنوع ولا متكلف، وأتى محققًا الغرض الذي نِيْطَ به، أتي به من أجله، وورد مطابقًا للحال التي اقتضته، والسياق الذي استدعاه، والأسلوب الذي نادى به .
هذا ومن ينظر إلى الفعل الأمر عند أبي محجن يجد أنه قد خرج عن معناه الحقيقي - وهو الاستعلاء والإلزام - إلى معانٍ أخرى بلاغية يوحي بها الأسلوب الذي جاءت به، وتفهم من السياق التي وردت فيه، وتستقرأ من خلالهما بمعونة دلائل وقرائن تصرفه عن معناه الحقيقي إلى هذه المعاني البلاغية، وهذا ما يتضح لنا على النحو التالي :

١- الالتماس: وذلك عندما يكون الآمر والمأمور متساويين في الدرجة والرتبة والمنزلة، ويكون الطلب فيه على سبيل التلطف، وبدون تضرع ولا استعلاء [١] .
ومن ذلك قول أبي محجن مفتخرًا :

لا تَسْأَلِي الناسَ عن مالي وكَثْرَتِه

وسائِلِي القَوْمَ عن دِيْنِي وعن خُلُقِي [٢]

(١) علم المعاني ٢ / ٧٥ / د / بسيوني فيود، وينظر: علم المعاني / ٧٧ / د / عبد العزيز عتيق .
(٢) البحث صـ ٣٥، ٣٧ .

فهو يطلب من امرأته ألا تسأل الناس عن ماله وكثرته، ولكن أن تسألهم عن الأهم من ذلك، وهو دينه وخلقه؛ لأن دين المرء وخلقه هما زينته وسبيل نجاته في الدارين.

وجاء الأمر في قوله : " سائلي " للالتماس ؛ لأن أبا محجن يطلب من مساوٍ له في الرتبة والمنزلة وهي صاحبته، ولا يخفى أن الإنسان حينما يطلب ممن يساويه في الدرجة والمنزلة فإنه يطلب برفق وتلطف وبدون خضوع ولا استعلاء .

واستخدم أبو محجن صيغة المفاعلة في قوله : " سائلي "، ولم يقصد بها الدلالة على المفاعلة بمعنى المشاركة، وذلك بأن تسأل زوجته الناس عنــه وأن يسألوها عنه، وإنما قصد أن تكثر من سؤالها القوم عنه ؛ لأنه يعرفه بدينه وخلقه القاصي والداني، فالمفاعلة هنا ليست للدلالة على المشاركة، وإنما للدلالة على الكثرة والمبالغة، من باب أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، على حد قوله تعالى : **"يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا "** (١) .

وقوله حينما نهاه سعد بن أبي وقاص بالقادسية عن شرب الجمر، وتوعّده بالعقاب إن لم ينته، فلم ينته وقال :

أَلَا سَقِّنِي يا صـاحِ خَمْرًا فإنَّنـي

بِما أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ في الخَمْرِ عالمُ

وجُدْ لي بها صِرْفًا (٢) ؛ لِأَزْدادَ مَأْثَمًا

ففي شُـرْبِها صِرْفًا تَتِمُّ المَـآثِمُ (٣)

فهو يخاطب صاحبه ويطلب منه أن يسقيه الخمر رغم أنه عالم بما أنزل الله في شأنها من أمر تحريمها، ويطلب منه أيضًا أن يجود له بها

(١) البقرة: ٩ .
(٢) الصِّرْف: الخالص من كل شيء كالخمر وغيرها، ويُسَمَّى الدم والشراب إذا لم يُمْزَجا صِرْفًا . لسان العرب، القاموس المحيط / مادة: صرف .
(٣) ديوان أبي محجن / ٤٢ (الطويل) .

صِرْفًا خالصة غير ممزوجة بشيء آخر مبالغة في النشوة، ثم علل طلبه لها صرفًا بأنها بشربها صرفًا تتم المآثم ؛ ومن أجل ذلك " أمر به سَعْد فَحُبِس " (١) .

وجاء بفعلي الأمر في قوله : " سَقِّني " و " جُدْ " بغرض الالتماس ؛ لأنه يطلب من صاحبه، والصاحب يكون في نفس منزلة ورتبة صاحبه، ولا يخفى أن الطلب من الصاحب يكون بالالتماس على سبيل التلطف، وبدون تضرع ولا استعلاء .

والأمر في البيتين يحمل في طيَّاته رجاءً شديدًا وطمعًا كبيرًا، وفي استخدام أبي محجن الفعل " سَقِّني " بصيغة التضعيف الدال على المبالغة دلالة على تعلقه الشديد بالخمر آنذاك، وتلك حالة فريدة من معرفة الإثم والإصرار عليه .

٢- <u>الاستيصاء :</u> وذلك عندما يكون الشيء المأمور به يدل على معنى الوصية المطلوب تنفيذها .

ومن ذلك قوله حينما نفاه سيدنا عمر - ﷺ- إلى حضوضى لابن جهراء الذي أرسله عمر معه، فراغ منه، ولحق بسعد بن أبي وقاص :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ أَبا حَفْصٍ مُغَلْغَلَةً (٢)

عَبْدَ الإِلَهِ إذا ما غارَ (٣) **أو جَلَسا** (٤)

أَنِّي أَكُرُّ عَلَى الأُولَى إذا فَزِعُوا

يَوْمًا، وأَحْبِسُ تَحْتَ الرَّايةِ الفَرَسا

(١) شرح ديوان أبي محجن / ٤٢ .
(٢) المُغَلْغَلَة: الرسالة، والرسالة المُغَلْغَلَة: هي المحمولة من بلد إلى بلد . لسان العرب / مادة: غلغل .
(٣) غار القوم: أتوا غورًا، والغور: هو ما انخفض من الأرض، وغور كل شيء: عُمْقه وبُعْده . السابق / مادة: غور .
(٤) جَلَسَ القوم: أنجدوا، أو أتوا نجدًا، وجَلَسَ السحاب: أتى نجدًا . السابق، أساس البلاغة / مادة: جلس .

أَغْشَى الهِياجَ[1] وتَغْشانِي مُضاعَفَةٌ[2]

من الحَدِيْدِ إذا ما بَعْضُهُمْ خَنَسا[3][4]

فأبو محجن – وهو الشجاع الفارس المغوار وصاحب الصولات والجولات - يطلب من ابن جهراء ويوصيه بأن يبلغ عبد الإله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أينما وجد رسالة من أبي محجن تتضمن وصف شجاعته وبيان فروسيته، وذلك بأنه يكرّ على الأعداء، ويحبس فرسه تحت راية القتال، ويدخل في الحرب مرتديًا درعًا مضاعفة متينة محكمة النسج وبديعة الصنع .

وخرج الأمر في قوله : " أَبْلِغْ " عن معناه الحقيقي - وهو الاستعلاء والإلزام - إلى معنى آخر دلّ عليه السياق وهو الاستيصاء .
وبين قوله : " غار " و " جلس " طباق يوضح المعنى ويؤكده، فأبو محجن يطلب من ابن جهراء إبلاغ رسالته لعمر بن الخطاب أينما وُجِدَ، وحيثما كان .

وجاء بالأفعال " أكرّ " و " أحبس " و " أغشى " بصيغة المضارع لاستحضار صُوَر الأحداث التي دَلَّت عليها هذه الأفعال، حتى تبدو كأنها ماثلة ومشاهدة أمام المخاطبين، وكأنهم يرونها تحدث أمام أعينهم، وهذا ما يتناسب مع مقام الفخر والاعتزاز .
والمقصود بكلمة " الأُولَى " أولى الخيل، وهي المقدمة، وخصَّها بالذكر ؛ لأن نُخْبَة الكتيبة تكون فيها، وهذا أدلّ على شجاعته وفروسيته .

---

(١) الهياج: الحرب والقتال، ويوم الهياج: يوم القتال، ويقال: تهايج الفريقان: تواثبا للقتال . السابق، القاموس المحيط / مادة: هيج .
(٢) الدروع المُضاعَفة: هي الدروع التي نُسِجَتْ حَلْقَتَيْنِ حَلْقَتَيْنِ . القاموس المحيط / مادة: ضعف .
(٣) خَنَسَ: تَأَخَّرَ، يقال: خَنَسَ عنه يَخْنِس ويَخْنُس - بكسر النون وضمها - خَنْسًا وخُنُوسًا: تَأَخَّرَ، وانْخَنَسَ: تَأَخَّرَ، وخَنَسَ زيدًا: أَخَّرَه . السابق / مادة: خنس .
(٤) ديوان أبي محجن / ٣٢، ٣٣ (البسيط) .

وقوله مخاطبًا ابنه :

إذا مُتُّ فادْفنِّي إلى أَصْلِ كَرْمَةٍ

تُرَوِّي عِظامي في التُّراب عُرُوقُها (١)

ولا تَدْفِنَنِّي بالفَلاةِ ؛ فإنَّني

أَخــافُ إذا مــا مُتُّ ألّا أَذُوقُــها (٢)

فأبو محجن يوصي ابنه إذا مات أن يدفنه بجوار كرمة ؛ لكي تروّي عظامه في التراب عروقها، ولكي يلتذ بها، ويوصيه بألا يدفنه في الصحراء خوفًا من عدم ذوقه الخمر بعد موته، ولقد صدر ذلك منه وجرى في كلامه على مذهب الشعراء في تخيلاتهم وجادة تمويهاتهم .

وخرج الأمر في قوله : " ادفني " وكذلك النهي في قوله : " لا تدفنني " عن معناهما الحقيقي - وهو الاستعلاء والإلزام - إلى معنى آخر وهو الاستيصاء .

وجاء بالنهي " لا تدفنني " في البيت الثاني بعد الأمر " ادفني " في البيت الأول على سبيل الطرد والعكس تأكيدًا للأمر ومبالغة في الحث على تنفيذ الأمر، وفي ذلك مبالغة في حبه للخمر وتعطشه إليها، حيث أظهر الرغبة إليها بعد موته .

٣- <u>التمني :</u> ويكون ذلك حينما يكون الأمر مُوَجَّهًا إلى ما لا يعقل، ويكون الأمر المطلوب حصوله محبوبًا، لكن لا يرجى وقوعه إما لكونه مستحيلًا، وإما لكونه بعيدًا لا يطمع في نيله . (٣)

ومثال ذلك قول أبي محجن في رثاء أبي عبيد بن مسعود الثقفي :

---

(١) البحث صـ ١٩، ٣٦ .
(٢) ديوان أبي محجن / ٥٢ (الطويل) .
(٣) بغية الإيضاح ٢ / ٢٨، علم المعاني ٢/ ٧٣، ١٢٢ د / بسيوني فيود، علم المعاني / ٧٨ د / عبد العزيز عتيق .

يا عَيْنُ بَكِّيْ " أَبا جَبْرٍ " ووالِدَهُ

إذا تَحَطَّمَتِ الرّاياتُ والحَلَقُ (٢)(٣)

فأبو محجن يرثي أبا عبيد حينما اسْتُشْهِدَ يوم الجسر الذي كان بين المسلمين والفرس في أول خلافة عمر بن الخطاب، وأخذ ينادي عينه في قوله : " يا عين " ويأمرها بالبكاء في قوله : " بَكِّي "، ونلحظ هنا أن كلًّا من المنادى في أسلوب النداء - وهو العين - والمأمور في أسلوب الأمر - وهو العين أيضًا - غير عاقل ؛ ولذا فكل من النداء والأمر قد خرجا عن معنييهما الحقيقيين - وهما التنبيه في النداء والاستعلاء والإلزام في الأمر - إلى معنى آخر بلاغي وهو التمني، فهو يتمنى من العين أن تنتبه وتستجيب لندائه، وتمتثل لأمره، فتنهمر بالبكاء .

واستخدم أبو محجن الفعل " بكِّي " بصيغة التضعيف للدلالة على الكثرة والمبالغة، فهو لا يطلب من عينه مجرد البكاء الطبيعي، وإنما يطلب منها أن تكثر من البكاء، وتشتد فيه، وتنهمر به ؛ لكي يتناسب عظم وشدة البكاء مع عظم وشدة المصيبة، وهي استشهاد قائد المعركة أبي عبيد بن مسعود الثقفي رضي الله عنه .

٤ - <u>التحقير والإهانة :</u> وذلك حينما يكون الأمر يحمل معنى الإهانة والتحقير والسخرية والاستهزاء، وتستعمل صيغة الأمر في الإهانة في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور (٤)، وكذلك بقصد استصغاره والإقلال من شأنه والإزراء والاستهزاء به وتبكيته (٥) .

(٢) الحَلَق: الدروع وسميت بذلك ؛ لأنها تعمل من الحلق . شرح ديوان أبي محجن / ٣٦ .
(٣) ديوان أبي محجن / ٣٥ (البسيط) .
(٤) بغية الإيضاح ٢ / ٤٧ .
(٥) علم المعاني ٢ / ٧٢ / د / بسيوني فيود، علم المعاني / ٨١ / د / عبد العزيز عتيق .

ومثال ذلك ما رُوِي أنه عندما رجع أبو محجن من معركة القادسية ومعه فرس سعد بن أبي وقاص، وقد هُزِمَ المشركون، فرأته امرأة من المسلمين فظنت أنه مُنْهَزِمٌ ؛ فقالت :

مَنْ فارِسٌ كَرِهَ الطِّعانَ يُعِيرُني

فَرَسًا إذا نَزَلُوا بمَرْجِ الصُّفَّرِ ؟ (١)

فقال أبو محجن مجيبًا لها :

إنَّ الكِرَامَ عَلَى الجِيادِ مَقِيْلُهُمْ (٢)

فَذَرِي الجِيادَ لأَهْلِيها وتَعَطَّرِي (٣)

فهذه المرأة عندما رأت أبا محجن عائدًا من المعركة ظنت أنه مُنْهَزِم وطلبت منه أن يعيرها الفرس التي كان يمتطيها وهي فرس سعد بن أبي وقاص ؛ لتقاتل هي عليه، فأجابها أبو محجن بأن الكرام الفرسان يكون مقيلهم على ظهور الجياد، وطلب منها أن تتعطر وتذر الجياد لأهليها الفرسان البواسل ؛ حيث لا استطاعة ولا قوة لها على بأس وشدة لأواء الحرب .

وبما أنها قصدت من استفهامها في قولها : " مَنْ فارس كره الطعان يعيرني فرسًا إذا نـزلوا بمَرْج الصّـُفّر ؟ " الإهانة والتحقير والسخرية والاستهزاء فقد أجابها أبو محجن، وأتى في جوابه بفعلي أمر في قوله : " ذري " و " تعطري "، وخرج الأمران هنا عن المعنى الحقيقي منهما - وهو الإلزام والاستعلاء - إلى غرض آخر بلاغي هو الإهانة والتحقير والسخرية والاستهزاء والإزراء بها والاستصغار والإقلال من شأنها وعدم الاعتداد بحالها .

---

(١) مَرْج الصُّفَّر: - بالضم ثم الفتح مع التشديد، والراء – موضع بالشام كان به وقعة المسلمين مع الروم في خلافة أبي بكر، وهذا البيت قاله خالد بن سعيد وهو يقاتل الأعلاج من الروم ، وهو من بحر (الكامل) . معجم البلدان ٥ / ١٠١، الروض المعطار في خبر الأقطار / ٥٣٥ / لأبي عبد الله الحِميري / تحقيق: إحسان عباس / مؤسسة ناصر للثقافة / بيروت / الطبعة الثانية / ١٩٨٠ م، وينظر: شرح ديوان أبي محجن / ٤٤ .

(٢) المَقِيْل: الموضع، والمَقِيْل: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر، وإن لم يكن مع ذلك نوم . لسان العرب / مادة: قيل .

(٣) ديوان أبي محجن / ٤٤ (الكامل) .

ونلحظ هنا أبا محجن وَطّأ ومَهَّد للأمر بجملة خبرية مؤكدة بـ " إن " واسمية خبرها، وهي قوله : " إن الكرام على الجياد مقيلهم "، وكأنه يريد أن يقول لها : إن ركوب الجياد وامتطاء ظهورها ليس من شأنك، ولا يليق بك، ولست أهلًا له، ثم جاء بالأمر بعد ذلك في قوله : " فذري الجياد لأهليها وتعطري " توكيدًا لهذه الجملة السابقة عليه .

٥ ـ النصح والإرشاد : ويأتي أسلوب الأمر لغرض النصح والإرشاد إذا تَضَمَّن نصيحة لم تكن على وجه الإلزام (١)، والأمر بهذا الغرض يحمل في طياته مشاعر الحب ومعاني الإخلاص من الآمر للمأمور .

ومثال ذلك قول أبي محجن في ذم الخمر :

يَقُولُ أُناسٌ : اشْرَب إِنَّها

إِذا القَوْمُ نالوها أَصابُوا المَغانِما ! (٢)

فأبو محجن يحكي عن أناس كانوا يطالبونه بشرب الخمر، ويعللون ذلك بأنها إذا شربها القوم أصابوا بسببها الغنائم .

وخرج الأمر في قولهم : " اشرب " عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر بلاغي، وهو النصح والموعظة والإرشاد .

وكان القول من هؤلاء القوم له على سبيل الإغراء والافتتان ؛ ليعود إلى الخمر ظنًا وزعمًا منهم أنهم ينصحونه، إذًا فحقيقة الموعظة والنصح والإرشاد جاءت هنا على حسب ما يظنه ويزعمه هؤلاء له، ولكنه فهم أن الأمر له جاء على خلاف ذلك، فهو لا يُعِدّ قولهم هذا نصحًا ولا إرشادًا، وإنما يُعِدّه إغراء بالمعصية وافتتانًا منهم له، يؤكد ذلك قوله لهم بعد ذلك :

فَقُلْتُ لَهُمْ : جَهْلًا كَذَبْتُمْ أَلَمْ تَرَوا

أَخَـاها سَفِيْهًا بَعْدَ ما كـانَ حالِمًا ؟ !

(١) المعاني ٢ / ٧٦ / د / بسيوني فيود، علم المعاني / ٧٨ / د / عبد العزيز عتيق .
(٢) ديوان أبي محجن / ٤٠ (الطويل) .

وَأَضْحَى وَأَمْسَى مُسْتَخَفًّا مُهَيّجًا (٢)

وَحَسْبُكَ عارًا أَنْ تَرَى المَرْءَ هائمًا (٣)

وعبر أبو محجن بالمضارع في قوله : " يقول " للدلالة على التجدد والاستمرار، أي أن قولهم له : " اشرب ... " كان يصدر منهم له بتجدد واستمرار زمنًا بعد آخر، وحينًا بعد حين، وآنًا بعد آن .

٦- الفخر والمباهاة : ويكون أسلوب الأمر للفخر والمباهاة إذا تضمن من المعاني ما يدل على الفخر والمباهاة .

ومثال ذلك قول أبي محجن :

لَقَدْ عَلِمَتْ ثَقِيْفٌ غَيْرَ فَخْرٍ

بِأَنَّا نَحْنُ أَجْوَدُها سُيُوفًا

وَأَكْثَرُها دُرُوعًا ضَافِياتٍ

وَأَصْبَرُها إِذَا كَرِهُوا الوُقُوفا (٤)

وَأَنا رِفْدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ

فَإِنْ غَضِبُوا فَسَلْ رَجُلًا عَرِيْفًا (٥)

فأبو محجن أنشد هذه الأبيات بعد انتهائه من حرب القادسية، وبعد أن أبلى فيها بلاء حسنًا، وأرى العدو من نفسه ما أراهم، وأخذ يفتخر ويعدد مآثره ومفاخره، فأقسم أن ثقيفًا تعلم أنه أجودها سيوفًا صوارم، وأكثرها دروعًا ضافيات سوابغ، وأصبرها وقوفًا في الوقت الذي يكرهون فيه الوقوف، وأنه أكرمهم وأجودهم .

---

(٢) مُهَيَّجًا: هكذا وردت هذه اللفظة في الديوان، ولعلها من قبيل الخطأ المطبعي، والصواب { مُهَيَّمًا } كما وردت في صـ ١٦، نسخة مطبعة الأزهار البارونية / الجابية / القاهرة، (بدون تاريخ)، ويؤيد ذلك أيضًا شرح أبي هلال العسكري للديوان في قوله: " والهائم: المتحيِّر الذاهب على وجهه " . شرح ديوان أبي محجن / ٤١ .

(٣) ديوان أبي محجن / ٤١ (الطويل) .

(٤) البحث صـ ١٩ .

(٥) البحث صـ ١٦ .

ثم أتى بعد ذلك بفعل الأمر " سل " الواقع في جواب الشرط " إن غضبوا "، وقد خرج هذا الأمر عن حقيقته إلى معنى آخر بلاغي هو الفخر والتعاظم والمباهاة .

واستخدم أداة الشرط " إن " للدلالة على أن غضب ثقيف واعتراضهم على قوله أمر غير محقق ومشكوك فيه، وفي ذلك دلالة على ثقته بنفسه وإثبات ذاته .
وفي تنكير كلمة " رجل " دلالة على العموم والشمول، فأي رجل عريف يعرف ذلك منه، ويشهد له به، وهذا يدل على شهرته وذيوع شمائله وأمجاده .

ثم اختار لفظة " عريفًا " بدلًا من عارف للدلالة على الكثرة والمبالغة، فالعريف أكثر وأغزر معرفة من غيره، وكيف لا ؟ ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل .

الخاتمة

بعد هذه الجولة التي طوفت بها في هذا البحث مع الفعل بأنواعه الثلاثة : الماضي، والمضارع، والأمر في ديوان الصحابي الفارس، والشاعر المخضرم المطبوع أبي محجن الثقفي - رضي الله عنه - فقد اتضح لي ما لهذا الموضوع من أهمية جليلة، وجدوى عظيمة ؛ وذلك لما اشتمل عليه من لطائف منسقة، وفرائد منمقة، ولما انطوى عليه من أسرار بلاغية، ولطائف بيانية، أسهمت في بلاغة الأسلوب شكلًا ومضمونًا.

هذا .. ولقد سار هذا البحث في ديوان أبي محجن الثقفي بالتحليل والبيان والإفصاح عما فيه من أسرار وفوائد ولطائف ودقائق، ثم استقر وقد أسفر عن عدة نتائج وتوصيات من أهمها ما يلي :

١ - أن التعبير بالفعل بأنواعه الثلاثة وأساليبه المختلفة قد يحتوي على الكثير من الأسرار البلاغية العالية، والرموز البيانية السامية، والفوائد الغزيرة، واللطائف الكثيرة، وقد بدا كل ذلك وغيره - وهو كثير - عند أبي محجن في ديوانه، الأمر الذي يدل على تمكنه من أدوات التعبير، ومقدرته الفنية البديعة في صوغ الشعر، وبراعته المنقطعة النظير في التعبير عما يختلج في نفسه من أحاسيس ومشاعر، وعما يدور في خلده من معانٍ وأفكار .

٢- أنني لم أعثر على دراسة بلاغية في شعر أبي محجن، وهو من الشعر البليغ المطبوع الذي يرسم صورة مُعَبِّرة تليق بمكانة شاعر فارس، والذي يصور لنا أفكار صاحبه أصدق وأدق تصوير ؛ ولذا فإنني أوصي بدراسة ما اشتمل عليه هذا الديوان من مباحث بلاغية أخري دراسة تثري المكتبة البلاغية، وتلقي الضوء على تراثنا الأدبي الذي نعتز ونفخر به .

٣- أن أبا محجن استخدم في ديوانه التعبير بالفعل بأنواعه الثلاثة بنسب مختلفة، بناء على مراعاة المقام، وحسب مقتضيات الأحوال، وتلبية لمتطلبات السياق، حيث إن التعبير بالفعل عنده قد جاء مائتين وخمسًا وثلاثين مرة، ويعد الفعل الماضي أكثر الأفعال ورودًا في هذا

الديوان، فقد جاء مائة وتسعًا وعشرين مرة، أي بنسبة ٥٤,٨٩ %، يلي الفعل الماضي في ذلك الفعل المضارع، فقد ورد خمسًا وتسعين مرة، أي بنسبة ٤٠,٤٢ %، وهي نسبة ملحوظة أيضًا، لكن فعل الأمر قد أتى بنسبة قليلة إذا قيست بنسبتي الماضي والمضارع، حيث إنه قد جاء إحدى عشرة مرة، أي بنسبة ٤,٦٨% ، الأمر الذي يؤكد لنا أن أبا محجن كان يراعي في استخدامه للفعل الأسلوب الذي يقتضيه المقام، ويستدعيه السياق، وينادي به الحال، ويحقق الغرض المقصود، ويلبي الهدف المنشود، بصرف النظر عما إذا قلّ ذلك أو كثر .

٤- أن الشاعر حينما يكون مغمورًا أو مقلًا في شعره - كما هو الحال عند أبي محجن - فإن هذا لا يعني أن شعره مرذول أو ضعيف القيمة، ولكن ذلك قد يكون له اعتبارات أخرى، حيث إن أبا محجن لم يكن لديه استقرار، وقد استفرغت ميادين الخمر والتوبة منها والحرب والجهاد والفروسية كل طاقاته وأوقاته، كما أنه لم يكن شاعرًا يحتشد لمدح حاكم وتدبيج قصيدة بعد أخرى، كذلك لم ترصده الحركة الأدبية رواية وتدوينًا، وكم من مغمورين ومقلين قد أبدعوا وعبدوا الطريق لمشهورين فخلدوا رغم قلة نتاجهم، وكم من شعراء مكثرين قد ضاعوا رغم كثرة شعرهم، فالعبرة بالكيف وليست فقط بالكم، ولله درّ القائل :

بُغاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُها فِراخًا وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ (١)

ولذا فإني أوصي بالبحث والتنقيب في هذا التراث الأدبي العريق لهؤلاء المغمورين لاستخراج جواهر كنوزهم ولآلئ دفائنهم، وإلقاء الضوء على بديع نتاجهم .

٥- أن الشعر العربي في الدرجة العالية من البلاغة، فبلاغته تأتي مباشرة بعد بلاغة القرآن الكريم والحديث الشريف، فهو ديوان العرب، وسجل مفاخرهم، وشاهد فصاحتهم، وآية بلاغتهم، وعلامة براعتهم، وهو يشنف الآذان، ويخلب العقول، ويؤثر في النفوس تأثير السحر، وكيف لا وإن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة ؟ ولذا أوصي

(١) الصناعتين ١١٦ / لأبي هلال العسكري / تحقيق: د / مفيد قميحة / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية /١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

الباحثين بالدراسة البلاغية في هذا البحر الزاخر لاستخراج كنوزه ودفائنه، وبيان درره ولآلئه، والكشف عن لطائفه جواهره .

وبعد هذا الجهد المتواضع الذي قد قضيته مع أسرار التعبير بالفعل في ديوان هذا الشاعر الفارس فما أظن أنني استخرجت كل ما في هذا الموضوع من أسرار، وتوصلت إلى كل ما انطوى عليه من لطائف وفوائد، فشعر أبي محجن - وهكذا كل شعر جيد - من الأدب الخالد الذي كلما قرأته كلما أفصح عن بديع الفوائد، وأبان عن فائق الفرائد، وكشف عن جميل القلائد، ولله دَرّ القائل :

يَــزِيْـدك وَجْـهُهُ حُـسْنًا

إذا مـــا زِدْتَـــهُ نَـــظَرًا (٢)

ولكن هذا جهدي - وهو جهد المقل - ولكن يكثره حسن النية، وإخلاص العزيمة، وحسبي أنني بذلت جهدي، وأدليت بدلوي، وأدعو الله العليّ القدير أن يجعل لهذا العمل ثوابًا عظيمًا، وأن يجعل نفعه ممتدًا عميمًا، وأن يتقبله مني بقبول حسن، وأن يتجاوز عما وقعت فيه من سهو أو خطأ أو نسيان إنه - سبحانه - وليّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله على خير البشر، وأكرم الرسل إلى خير الأمم، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والكرم، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(٢) ديوان أبي نواس ١٦٤ / طبعة بيروت / ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

فهرس المصادر والمراجع

١- أساس البلاغة / للزمخشري / دار التنوير العربي / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .
٢- الاستيعاب / لابن عبد البر / تحقيق : علي محمد البجاوي / دار الجيل / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٣- أسد الغابة / لابن الأثير / تحقيق : خليل مأمون شيحا / دار المعرفة / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م .
٤- الإصابة / لابن حجر العسقلاني / تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م
٥- الأعلام / للزركلي / دار العلم للملايين / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية عشرة / ١٩٩٧م .
٦- الأغاني / للأصفهاني / تحقيق : عبدا علي مهنا / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الرابعة / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م .
٧- أفنان البيان / د / الشحات أبو ستيت / مطبعة التركي/ طنطا / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
٨- أوضح المسالك / لابن هشام / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الطلائع / ٢٠٠٩م .
٩- بحوث المطابقة لمقتضى الحال / د / علي البدري / المكتبة الحسينية / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .
١٠- بدائع الفوائد / لابن قيم الجوزية / تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي، د / أحمد عوض أبو الشباب / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م .
١١- بغية الإيضاح / لعبد المتعال الصعيدي / مكتبة الآداب / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
١٢- البلاغة العالية (علم المعاني) / لعبد المتعال الصعيدي / مكتبة الآداب، الطبعة الثانية / ١٤١١ هـ - ١٩٩١م .
١٣- بناء الجملة العربية / د / محمد حماسة عبد اللليف / دار غريب / ٢٠٠٣م .
١٤- تاريخ الطبري / للطبري / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م .

١٥- جامع المسانيد / لابن كثير / تحقيق : د / عبد المعطي قلعجي / دار الفكر / بيروت / لبنان، دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م .
١٦- الجنى الداني / للمرادي / تحقيق : د / فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .
١٧- جواهر البلاغة / لأحمد الهاشمي / تحقيق : د / يوسف الصميلي / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .
١٨- خزانة الأدب /للبغدادي / تحقيق : د / محمد نبيل طريفي، د / إميل بديع يعقوب / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .
١٩- خصائص التراكيب/ د / محمد أبو موسى/ مكتبة وهبة / الطبعة الرابعة / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .
٢٠- دلائل الإعجاز / لعبد القاهر الجرجاني / تحقيق : / محمد التنجي / دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الأولى / ١٩٩٥م .
٢١- دلالات التراكيب / د / محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / الطبعة الثانية / ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م .
٢٢- ديوان أبي محجن / لأبي محجن الثقفي / مطبعة الأزهار البارونية / الجابية / القاهرة، (بدون تاريخ) .
٢٣- ديوان أبي تمام / بشرح الخطيب التبريزي / تحقيق : د / محمد ه عبده عزام / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الرابعة / بدون تاريخ
٢٤ديوان أبي محجن / لأبي محجن الثقفي / بشرح أبي هلال العسكري / تحقيق : يوسف عبد الوهاب / مكتبة القرآن / القاهرة / بدون تاريخ .
٢٥- ديوان البحتري / تحقيق : د / يوسف الشيخ أحمد / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٢٦- ديوان حافظ إبراهيم / تحقيق : أحمد أمين ومن معه / الهيئة العامة لقصور الثقافة / الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م .
٢٧- ديوان حسان بن ثابت / تحقيق : سيد حنفي حسين / دار المعارف / القاهرة / بدون تاريخ .
٢٨- رصف المباني / للمالقي / تحقيق : د / أحمد الخراط / دار القلم / دمشق / الطبعة الثانية / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٢٩- الروض المعطار في خبر الأقطار / لأبي عبد الله الحِميري / تحقيق : إحسان عباس / مؤسسة ناصر للثقافة / بيروت / الطبعة الثانية / ١٩٨٠ م .

٣٠- شذا العرف في فن الصرف / لأحمد الحملاوي / تحقيق : د / أحمد أحمد شتيوي / دار الغد الجديد / المنصورة / الطبعة الأولى / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٣١-شرح قطر الندى وبل الصدى / لابن هشام / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م .
٣٢-شرح ديوان أبي محجن / لأبي هلال العسكري / تحقيق : يوسف عبد الوهاب / مكتبة القرآن / القاهرة / بدون تاريخ .
٣٣- شرح ديوان الحماسة / للمرزوقي / تحقيق : أحمد أمين، عبد السلام هارون / دار الجيل / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١١ هـ - ١٩٩١م .
٣٤- شرح قطر الندى وبل الصدى / لابن هشام / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م .
٣٥- طبقات فحول الشعراء / لابن سلام / تحقيق : محمود محمد شاكر / دار المدني / جدة / بدون تاريخ .
٣٧- علم المعاني / د / بسيوني فيود / مؤسسة المختار، دار المعالم الثقافية / الطبعة الأولى / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .
٣٨- علم المعاني / د / عبد العزيز عتيق / دار النهضة العربية / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .
٣٩- علوم البلاغة / لأحمد مصطفى المراغي / دار القلم / بيروت / لبنان / بدون تاريخ .
٤٠- العمدة / لابن رشيق / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الجيل / بيروت / الطبعة الخامسة / ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
٤١- فروق متشابهات في بعض الأدوات النحوية في ضوء أساليب القرآن الكريم / د / أحمد السعيد نافع / مطبعة الأمانة / الطبعة الأولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م .
٤٢- الفعل المضارع في ضوء أساليب القرآن / د / عبد الله الحسيني هلال / مطبعة السعادة / الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
٤٣- القاموس المحيط / للفيروز آبادي / دار الفكر/ بيروت / لبنان / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .
٤٤- قراءة في الأدب القديم / د / محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / الطبعة الثالثة / ٢٠٠٦م .
٤٥- الكتاب / لسيبويه / تحقيق : د / إميل بديع يعقوب / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .
٤٦- كنز العمال / للهندي / تحقيق : بكري حياتي، صفوة السقا / مؤسسة الرسالة / الطبعة الثالثة / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م .

٤٧- لسان العرب / لابن منظور / دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .
٤٨- اللغة الشاعرة / لعباس محمود العقاد / مكتبة غريب / بدون تاريخ .
٤٩- المثل السائر/ لابن الأثير / تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤١٦ / هـ - ١٩٩٥م .
٥٠- مستتبعات التراكيب / د / عبد الغني محمد بركة / دار الطباعة المحمدية / الطبعة الأولى / ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م .
٥١- معجم البلدان / لياقوت الحموي / دار صادر/ بيروت / بدون تاريخ .
٥٢- المعجم الوسيط / لمجمع اللغة العربية / مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية / الطبعة الثالثة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م / .
٥٣- مغني اللبيب /
٥٤- المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصفهاني / تحقيق : صفوان عدنان الداودي / دار القلم / دمشق، الدار الشامية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٢ هـ .
٥٥- من أسرار اللغة / د / إبراهيم أنيس / مكتبة الأنجلو المصرية / الطبعة السابعة / ١٩٨٥م .
٥٦- من نحو المباني إلى نحو المعاني / ١٢١ / د / محمد طاهر الحمصي / دار سعد الدين / دمشق / الطبعة الأولى / ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م .
٥٧- موسيقى الشعر ١٩١ / د / إبراهيم أنيس / دار الفكر / القاهرة / بدون تاريخ .
٥٨- نتائج الفكر/ للسهيلي/ تحقيق :
الوافي بالوفيات / لصلاح الدين الصفدي / تحقيق : أحمد الأرناءوط، وتركي مصطفى / دار إحياء التراث / بيروت / ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

فهرس الموضوعات

الموضـوع رقم الصفحة

المقدمة ٧١٩
تمهيد ٧٢٢
أولًا : التعريف بالشاعر ٧٢٢
أ - اسمه ٧٢٢
ب - كنيته ٧٢٢
ج - اسم أمه ٧٢٢
د - إسلامه ٧٢٢
هـ - نفيه ٧٢٣
و - شجاعته ٧٢٤
ز - شعره ٧٢٥
ح - وفاته ٧٢٥
ثانيًا : أنواع الفعل عند علماء اللغة ٧٢٦
المبحث الأول : الفعل الماضي في ديوان أبي محجن ٧٢٩
١- الفعل الماضي في سياق النفي ٧٢٩
٢- الفعل الماضي في سياق التأكيد ٧٣٣
٣- الفعل الماضي في سياق الشرط ٧٤٠
٤- الفعل الماضي بمعنى الأمر ٧٥١
المبحث الثاني : الفعل المضارع في ديوان أبي محجن ٧٥٣
١- الفعل المضارع واستحضار الصورة ٧٥٣
٢- الفعل المضارع ودلالة التجدد والحدوث ٧٥٩
٣- الفعل المضارع في سياق النفي ٧٦٤
٤- التعبير بالمضارع في سياق النهي ٧٧٠
٥- التعبير بالمضارع المقترن بـ " قد " ٧٧٣
المبحث الثالث : فعل الأمر في ديوان أبي محجن ٧٧٦
١- الالتماس ٧٧٦
٢- الاستيصاء ٧٧٨
٣- التمني ٧٨٠

٤- التحقير والإهانة ٧٨١
٥- النصح والإرشاد ٧٨٣
٦- الفخر والمباهاة ٧٨٤
الخـــاتمة ٧٨٦
فهرس المصادر والمراجع ٧٨٩
فهرس الموضوعات ٧٩٣